AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01830 1097

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

28 DEC 2011

D
57
G46
1926

كتاب التاريخ القديم

« لتلاميذ السنة الاولى الثانوية »

﴿ حسب المنهج الحديث ﴾

تأليف

ج . إدجار ، محمد نفيع غربال

الحاصل على درجة العالمية من جامعة اكسفورد والمفتش بوزارة المعارف

الحاصل على درجة العالمية من جامعة لندن والعضو بالمكتب الفنى بوزارة المعارف

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها

« جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين »

الطبعة الثانية

الثمن ٢٠ قرشاً

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

الطبعة الاولى : فى أبريل سنة ١٩٢٦
الطبعة الثانية : فى أغسطس سنة ١٩٢٦

موضـــــوعات المنهج الجـــــديد

« للسنة الاولى بالمدارس الثانوية »

دراسة عامة لتاريخ المدنيات القديمة مع العناية بعلاقتها بمصر

(١) الشرق القديم

مصـــــر

ملخص تاريخ مصر القديم والمدنية المصرية الى نهاية الدولة الحديثة

بابل واشور وكلـــــديا

وصف أراضى دجلة والفرات ـ المدنية السومرية ـ تأسيس بابل ـ حمورابى ـ ظهور أشور وتأسيس نينوى ـ دولة الكلدانيين الثانية و بختنصر الثانى ـ ظهور الميديين والفرس ـ كورش واستيلاؤه على بابل .

بنو اسرائيـــــل

وصف فلسطين ـ بنو اسرائيل فى مصر ـ ملك شاول وداود ـ سليمان و بناء الهيكل ـ الانقسام الى مملكتين ونهايتهما .

الفينيقيون

موطن الفينيقيين الاصلى ـ صيدا وصور ـ علاقة الفينيقيين بمصر واشور ـ المستعمرات الفينيقية ـ طرق التجارة ـ استيلاء الفرس على فينيقية ـ المدنية الفينيقية .

الفـــرس

ظهور قوة الفرس ـ فتوح كورش ـ قمبيز والاستيلاء على مصر ـ امبراطورية دارا الاكبر.

(٢) الاغريق

مدنية كريد القديمة وعلاقتها بمصر ـ كنوسس وميسينى وطروادة ـ القضاء على كنوسس ـ مواطن الاغريق الاولى ـ أثر الفينيقيين والكريديين ـ هوميروس والقصص الاغريقية ـ مظاهر الجامعة الهيلينية والالعاب الاولمبية ـ ظهور اسبرطة ـ الكفاح مع الفرس ـ مرتون وترمبولى وسلامس و بلاتيه ـ اتحاد ديلوس ودولة اثينا

عصر بركليس ـ علوم وأدبيات وفنون الاغريق ـ النزاع بين اثينا واسبرطة ـ ظهور مقدونية ـ فليب ـ فتوح الاسكندر الاكبر ـ تجزئة دولته وانتشار المدنية الاغريقية فى الشرق ـ أهمية الاسكندرية ـ دخول الاغريق فى حكم الرومان.

(٣) الرومان

أصل الايطاليين ـ الاشوريون ـ المستعمرات الاغريقية ـ القبائل اللاتينية ـ تأسيس روما ـ الديانة الرومانيـة ـ طرد الملوك ـ النزاع بين الاشراف والعامة ـ القوانين الاثنا عشر ـ استيلاء روما على ايطاليا ـ الحرب بين روما وقرطاجنة ـ الاستيلاء على مقدونية وآسيا ـ النتائج السياسية والاجتماعية لهـذه الفتوح ـ محاولات الاخوين جراكوس فى الاصلاح ـ ماريوس وسلا ـ بمبيوس ـ قيصر ـ انطونيوس ـ اكتافيوس ـ اغسطس وعصره ـ تيبريوس ونيرون ـ اباطرة الاسرة الفلافية ـ الانطونين ـ تراجان ـ

هادريان ـ انطونيوس بيوس وماركس اوريليوس ـ نظام الحكومة والادارة الرومانية ـ مصر كولاية رومانية ـ اصلاحات دقلديانوس ـ ظهور الدين المسيحى وانتشاره ـ تأسيس القسطنطينية ـ هجوم القبائل المتبربرة وسقوط الدولة فى الغرب .

الفهرست

صفحة

معلومات تاريخية أولية : الانسان قبل التاريخ ١

الباب الاول : الشرق القديم ٦

الفصل الأول : الشرق القديم ومصادر تاريخه ٦

« الثانى : مصر ـ وصفها و بدء قيام الحضارة فيها ١٠

« الثالث : اتحاد الصعيد والدلتا ١٨

« الرابع : الدولة القديمة والدولة الوسطى ٢٠

« الخامس: الهكسوس فى مصر وملك المصريين فى آسيا ٣٢

« السادس: الحضارة المصرية فى عهد الدولة الحديثة ٣٩

« السابع : الحيثيون ومصر ٤٤

« الثامن : مصر فى أيدى الاسيويين ٤٨

« التاسع : أرض بابل واشور ٥١

« العاشر : بابل ٥٤

« الحادى عشر : بنو اسرائيل... ... ... ٦١

« الثانى عشر : الحضارة الفينيقية ٦٦

« الثالث عشر : الفرس ٧٠

صفحة

الباب الثانى : الاغريق ٧٢

الفصل الأول : كريد والحضارة الاغريقية الاولى ٧٢

« الثانى : قدوم الاغريق ٧٧

« الثالث : عهد الملوك وعهد الاشراف ٨٠

« الرابع : الاستعمار الاغريقى ٨٢

« الخامس: عهد المغتصبين ٨٤

« السادس : الكفاح بين الفرس والاغريق ٨٦

« السابع : حلف ديلوس وملك اثينا ٨٩

« الثامن : عصر بريكليس ٩٠

« التاسع : الحرب بين اثينا واسبرطة ٩٤

« العاشر : عظماء كتاب القرن الخامس ٩٨

« الحادى عشر : ظهور مقدونيا ـ فليب والاسكندر الاكبر ١٠١

« الثانى عشر : انتشار الحضارة الاغريقية ١٠٥

« الثالث عشر : دولة البطالسة ١٠٧

الباب الثالث : روما ١١٣

الفصل الاول : عصر الملوك ـ النزاع بين الاشراف والعامة ١١٣

« الثانى : روما سيدة ايطاليا ١١٧

« الثالث: الكفاح بين روما وقرطاجنة ١١٩

« الرابع : فتوح الرومان فى مقدونيا وآسيا ١٢٤

« الخامس : عصر الثورات ١٢٧

« السادس : تأسيس الأمبراطورية وعصر اجسطوس ١٣٧

صفحة

الفصل السابع : القياصرة الفلافيين والانتونين ١٤٣
« الثامن : عصر الفوضى الحربية ١٤٨
« التاسع : انتشار المسيحية ١٥٠
« العاشر : انحلال الدولة الرومانية وتأسيس ممالك المتبربرين ١٥٣
« الحادى عشر : مصر ولاية رومانية ١٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

معلومات تاريخية أولية

(١)

الانسان قبل التاريخ

قبل التاريخ

لم يتمكن المؤرخون من دراسة الماضى إلا بفضل ما كتبته الأمم عن احوالها . أى أن التاريخ يبدأ عند ما توصل الانسان الى معرفة فن الكتابة قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف عام .

وقبل معرفة الكتابة عاشت على سطح الارض أمم عدة لا سبيل إلى وصف ما كانت عليه إلا بدراسة آثارها المختلفة ، وعلى الاخص الآلات المتنوعة التى استعملتها . وقد اعتاد المؤرخون تسمية الازمان القاصية التى عاشت فيها تلك الأمم « بقبل التاريخ »

تقسيم قبل التاريخ الى أربعة عصور

ينقسم العهد قبل التاريخ الى اربعة عصور على حسب الآلات المستعملة : فأقدمها كلها عصر اتخذ الانسان فيه الآلات التى تلزمه من الاحجار إما كما هى أو بعد نحت بسيط . ويسمى ذلك العصر «بالعصر الحجرى القديم» .

١ ـ العصر الحجرى القديم

ثم أخذ الانسان بعد ذلك فى الترقى فى نحت الاحجار ، فأصبحت الآلات

٢ ـ العصر الحجرى الجديد

الحجرية متقنة اتقانا عجيبا ، ويعرف عصر استعمالها « بالعصر الحجرى الجديد »

٣ .. عصر البرونز

وتعلم بعد ذلك استعمال المعادن ، فاتخذ الآلات من النحاس كما وجده فى الارض ، ثم تبين له أنه اذا خلط النحاس بالقصدير حصل على معدن أشد من النحاس صلابة وهو البرونز

شكل (١) بعض الآلات قبل التاريخ

٤ ـ عصر الحديد

ثم أمكنه بعد ذلك أن يستعمل الحديد ، وذلك فى العصر الرابع من العصور السابقة للتاريخ

اختلاف الامم فى الترقى

ويجب ألاّ نفهم من هذا التقسيم أن الأمم كلها مرت فى تلك العصور الأربعة الواحد بعد الآخر ، فبعضها بقى يستعمل الآلات من الحجر دهراً طويلا جداً ، وبعضها كان سريع الخطى عرف الكتابة وقت أن عرف المعادن ، وبعضها انتقل من استعمال الحجر الى استعمال الحديد دفعة واحدة

الحياة فى العصر الحجرى القديم

كان الانسان فى العصر الحجرى القديم بائساً شقياً ، يأوى الى الكهوف ، لايعرف الزراعة ، ولا كيف ينتفع من الحيوان بتذليله ، لايستقر فى مكان واحد بل يلتمس رزقه بالصيد وجمع الثمار

فكان أبدا يترقب الفرص للايقاع بالوحوش أو يتخذ لنفسه ما يقيه شرها . وكانت الحرب سجالا بين الانسان وأخيه يتنازعان الصيد والمأوى . وعلى الجملة كانت حياة الانسان مملوءة هلعاً . يرتجف فرقاً اذا برقت السماء أو رعدت ، أو جن الليل

بدء الفنون

ولكنه كان اذا شبع وارتوى وهدأت هواجسه يميل الى صنع اشياء يزين بها نفسه أو مأواه ، كأن ينظم من اسنان الحيوان عقوداً أو يرسم على عظامها اشياء مما يقع عليها نظره . وهكذا بدأت الفنون لما وجد الانسان من وقته متسعاً لتدبر الخليقة ومحاولة محاكاتها

شكل (٢) مثال من فن الرسم قبل التاريخ

ايقاد النار

وأهم من ذلك كله توصله الى معرفته كيف يوقد النار . اذ أنه أزال بذلك بعض شظف عيشه ، فدفىء وصلح طعامه وزالت عنه وحشة الظلام .

الحياة فى العصر الحجرى الجديد

ثم تدرج فى الترقى فأصبح يتقن صنع الآلات وتعلم الزراعة وسخر الحيوان ونسج المنسوجات وصنع الآنية من الفخار . والظاهر أن أهل ذلك العصر كانت لهم عبادات فقد خلفوا أحجارا ضخمة مرصوصة ربما كانت لازمة لتعبدهم أو لدقتهم

آثاره الضخمة

شكل (٣) آثار دينية للعصور السابقة للتاريخ

بدء الجماعات السياسية والقوانين

وقد أدى تعلمهم الزراعة الى استقرارهم فى الارض . ونتج من هذا انتظامهم فى قبائل تخضع لقواعد ونظم . ولا بد أن ذلك قد خفف من عسف الاقوياء .

استعمال البرونز

اتخذ الناس فى آخر العصر الحجرى الجديد الآلات من النحاس . ويقال إن أول ما كان من ذلك كان فى مصر أو فى جزيرة قبرص، فاسم هذه الجزيرة باللغة الاغريقية القديمة معناه النحاس . ثم أخذوا يضيفون الى النحاس القصدير ويحصلون بذلك على البرونز وهو يفضل النحاس ، ويرجع عهد استعماله فى مصر وفى بابل الى ماقبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة . ومن مصر أو من بابل أو منهما معاً انتشر العلم به الى جزيرة كريد وغيرها .

استعمال الحديد

واستمر الناس دهراً طويلا لايستعملون الا البرونز فقد صعب عليهم استعمال الحديد وذلك على الرغم من ثقل البرونز . فلم نعثر على مايدل على أن المصريين عرفوه قبل الف وخمسمائة سنة قبل الميلاد . وكانوا يسمونه « معدن السماء » وربما كان سبب ذلك استخراجهم له من الشهب الساقطة من السماء .

معرفة الكتابة

أول مابدأ الناس كانوا يعبرون عن الشىء برسم شكله، ثم صاروا يستعملون الرسم للافصاح عن معان فاذا أرادوا أن يعبروا عن (الحرب) رسموا سهمين متضادين ، أو (الاكل) رسموا رجلا يضع يده فى فمه . وتلا ذلك جعل الرسم يدل على (اسم) شىء وللتوصل الى ذلك استعملوا الجناس اللفظى للتعبير عن شيئين مختلفين برسم شكل واحد. مثال ذلك أن المصريين كانوا يسمون (الابن) اسما قريبا من اسم (الاوزة) فعبروا عن الابن برسم شكل الاوزة ثم جاء بعد ذلك استعمال الرسم للتعبير لاعن كلمة بأكملها بل عن حرف واحد منها وهذا أصل الحروف الهجائية

بدء التاريخ

وقد بدأ التاريخ عند ذلك ، ولم يبدأ فى كل مكان فى وقت واحد .

قيام الحضارة

فمبدؤه فى مصر أقدم كثيراً من مبدئه فى اوربا ، إذ أن الحضارة قامت أولا فى احواض انهار عظيمة كثيرة الخصب عاش فيها الانسان عيشة راضية فتمدين وتفنن وقام بجلائل الاعمال. نعنى بذلك حوض النيل وأراضى الدجلة والفرات .

ثم انتشرت الحضارة فى جزر البحر الابيض المتوسط وأشباه جزره فسطع نورها لامعاً من كريد و بلاد الاغريق وايطاليا

ثم انتقلت الى غربى اوربا وشماليهـا وقامت الحضارة الاوربية الحديثة التى أخذت من مراكزها الاصلية فى اوربا والجديدة فى الامريكتين تحاول بسط سلطانها السياسى والعلمى والتجارى والصناعى على العالم كله

الاجناس الثلاثة التى قامت على ايديها الحضارات

وقد قامت هذه الحضارات على ايدى أجناس ثلاثة هى :

أولا : جنس البحر الابيض المتوسط أو الجنس الافريقى الابيض

ثانياً : الجنس الألبى نسبة لجبال الالب

ثالثاً : الجنس الشمالى أو النوردى

ويسكن الاول الأراضى حول البحر الابيض المتوسط ، والثانى الاراضى الجبلية الممتدة من هضبات ايران وارمينيا غربا الى الالب . وقد امتد هذا الجنس فى بعض الجهات جنوبا نحو البحر الابيض المتوسط . ويلاحظ ذلك على وجه خاص فى سوريا وفى الشاطىء الشرقى للبحر الادرياتيكي . أما الجنس الثالث فهو يسكن الاراضى حول بحر بلطيق .

وجنس البحر الابيض المتوسط أقسام يختلف بعضها عن بعض فالعرب مثلا قسم من أقسامه والليبيون قسم ثان وهكذا

الساميّون والاريّون

هـذه الالفاظ لاتدل على اجناس بل على لغات أى أن هناك لغات ساميَّة لها مميزات خاصة كالعبرية والعربية ولغات آرية لها مميزات كاللغات الاوربية

الباب الأول

الشرق القديم

موطن الحضـــــارة الاولى

الفصل الاول

الشرق القديم ومصادر تاريخه

افسام الشرق القديم

يطلق اسم الشرق القديم على الأراضى الممتدة من هضبة ايران شرقا الى صحراء ليبيا غربا . وقد قامت فى أجزائه المختلفة دول قوية تعلمت الحضارة بعضها من بعض وتنازعت السلطان . وأهم هذه الاجزاء : — أولا : حوض النيل ، ثانيا : وادى الفرات والدجلة ، ثالثا : سوريا ، رابعا : شبه جزيرة العرب ، خامسا : آسيا الصغرى وأرمينيا ، سادسا : هضبة ايران

مصادر تاريخ الشرق القديم

ومصادر تاريخ الشرق القديم ثلاثة : أولها ما كتبه الاقدمون عن انفسهم ، وثانيها ما تركوه من آثار مختلفة ، وثالثها ما كتبه مؤرخون قدماء ولكنهم جاءوا بعد الازمنة التى وصفوها .

التقدم الحديث فى دراسة تاريخ الشرق

وقد زاد علمنا أثناء القرن التاسع عشر بتاريخ الشرق القديم زيادة كبيرة جداً فقد كشفوا فيه عن مدنية باهرة موطنها جزيرة كريد وتعاصر الحضارة المصرية القديمة ، ولم يكن الناس قبل القرن التاسع عشر يعرفون عنها شيئاً . وكشفوا فيه أيضاً عن أمة عظيمة الشأن موطنها آسيا الصغرى اشتبكت مع فراعنة مصر

فى حروب طويلة ونازعتهم سلطانهم فى سوريا وفلسطين هى أمة الحيثيين. وكانوا يعتقدون أنهم عرفوا كل شىء عن مصر القديمة، ولكنهم وجدوا أنهم كانوا فى ذلك واهمين، وأخذوا يعيدون النظر فى معلوماتهم عن العصور الاولى السابقة للتاريخ

المؤرخون الاقدمون

ولمؤرخى الوقت الحاضر ميزة كبرى على المؤرخين الأقدمين إذ أن هؤلاء كانوا لايعرفون اللغات القديمة فكانت كل كتابة تركها المصريون والبابليون والحيثيون طلسما ، أما المؤرخون الحديثون فيمكنهم قراءة ما كتبته تلك الامم القديمة عن نفسها ، ولذلك لم يكن هناك قيمة علمية كبيرة لمؤلفات أولئك المؤرخين القدماء . وكل مافيها من فائدة وصفها للأمم الشرقية فى أيامهم

وهؤلاء المؤرخون الاقدمون إما « وطنيون » كتبوا عن بلادهم أو «أجانب» كتبوا عن بلاد غير بلادهم .

هيرودوت

ومن أشهر أولئك « الاجانب » هيرودوت الاغريقى . عاش هذا الرجل فى القرن الخامس قبل الميلاد وجال فى بلاد الشرق قبل أن يكتب عنها . وأهم مافى كتابه وصفه لظهور أمم الشرق وللكفاح الشديد بين الفرس والاغريق. وكان هيرودوت يدون كل مايسمع، فجاء تاريخه جامعا للغث والسمين وان كان ممتعا لطيفا . والجزء الخاص بمصر من تاريخه ليس كله على حال واحدة من الاجادة والصدق .

ديودور

وكتب على أمم الشرق أيضا ديودور الصقلى ، وقد عاش فى القرن الاول بعد الميلاد . ووصفه مصر لا بأس به اذا اعتبر صورة لها فى وقته .

مانيثون

أما المؤرخون «الوطنيون» فأهمهم جميعاً مانيثون، وهو كاهن مصرى عاش فى مدينة سمنود قام بأمر بطليموس فيلادلفوس ملك مصر بجمع كل ماأمكنه من المعلومات عن ملوك مصر القدماء . وقد كتب مانيثون باللغة الاغريقية ولكن لم يصلنا ما كتبه إلا عن نسخ النساخين .

والظاهر أن مانيثون كان دقيقا فى تحريه الحقيقة . لذلك بقى تاريخه مصدرا مهما من مصادر التاريخ المصرى حتى أمكن العلماء قراءة اللغة المصرية القديمة. وللآن لايزالون يتبعونه فى تقسيمه ملوك مصر الى طبقات أو اسرات . وقد

أيدته الآثار أيضاً فى كثير من المواضع وعلى الاخص فى كلامه على الاسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة . واضعف مافيه ما جاء خاصا بالفترة بين الاسرتين الثانية عشرة والثامنة عشرة، وعذره انها كانت عهد اضطراب شديد

فك رموز اللغات القديمة

بيّنا أنه من مصادر التاريخ ما كتبته الأمم القديمة عن أحوالها و بديهى أن ذلك المصدر بقى مهملا الى ان تمكن العلماء من فك رموز اللغات القديمة

قراءة اللغة المصرية القديمة

وصفنا (١) كيف عرف الناس الكتابة، وكيف توصلوا للتعبير بالرسم عن الحروف الهجائية . وقد وصل المصريون القدماء لذلك ، ولكنهم لم ينفكوا عن التعبير عن الشيء برسم شكله؛ فجاءت كتابتهم خليطا وتعرف بالهيروغليفية ثم اختزلوها بعض الشيء وأوجدوا كتابة استعملها الكهنة والتجار وتعرف بالهيراطيقية . وفى القرن السابع قبل الميلاد كتبوا كتابة دارجة تعرف بالديموطيقية . وفى عهد البطالسة انتشر استعمال اللغة الاغريقية وكتب المصريون اذ ذاك لغتهم بحروف اغريقية وهذه هى اللغة القبطية . وفقدوا شيئاً فشيئا فهم الرموز القديمة وذلك قبل حلول القرن الخامس قبل الميلاد .

حجر رشيد

بقيت الحالة كذلك الى أن عثر ضابط فرنسى أثناء احتلال الفرنسيين مصر فى آخر القرن الثامن عشر على حجر بالقرب من رشيد عليه كتابات هيروغليفية وديموطيقية واغريقية . وقد استولى البريطانيون على هذا الحجر فيما استولوا عليه عند اجلائهم الفرنسيين عن مصر، وأودعوه متحفهم العظيم بلندن . بعد ذلك ترجمت الكتابة الاغريقية ووجدت عبارة عن تحدث من الكهنة المصريين بفضل بطليموس الخامس عليهم . ثم نجح توماس ينج الانجليزى فى معرفة عدة حروف هيروغليفية . وكانت وسيلته فى ذلك مقارنة الاعلام فى الثلاث الكتابات اذ الاعلام لا تترجم . إلا ان الفضل الاكبر

شامبليون

فى قراءة اللغة المصرية يعود الى شامبليون الفرنسى

أمكن العلماء بعد ذلك قراءة النقوش المصرية . وقد وجدوا أن المصريين القدماء لم يكتبوا تاريخا كما نفهم الآن ، وأنهم لم يحفلوا كثيراً بالدقة فى تدوين

---

(١) راجع صحيفة ٤

الحوادث وضبط الايام . وإن « التاريخ » عندهم لا يتعدى « كشوفا » بأسماء ملوكهم . ومن أقدم تلك الكشوف ماهو مسطر على حجر مودع بمتحف بلرم بجزيرة صقلية . وهذا الحجر يشمل أسماء الملوك الى الاسرة الخامسة . ونجد كشوفا من هذا النوع أيضاً مسطرة على جدران معابد وقبور الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . وهناك أيضاً كشف مهم عن عدد سنى حكم الملوك على ورقة من البردى محفوظة الآن فى متحف تورين .

حجر بلرم

ورقة تورين

تعرف كتابة أهل بابل بالخط المسمارى ، وذلك لانهم كانوا يكتبون بآلة شبيهة بالمسمار على الفخار قبل أن يجف . وما زالت كتابتهم مجهولة الى أن وجد رولنسون الانجليزى سنة ١٨٣٧ كتابة بابلية وفارسية منقوشة على صخرة فى الطريق بين بابل وفارس ، وفيها يعدد الملك دارا الفارسى انتصاراته . وتوصل بقرن الكتابتين الى فك رموز البابلية .

فك رموز اللغة البابلية

وكان البابليون أدق من المصريين حساباً فقد خلفوا كشوفاً أيدت صدقها الآثار عن ملوكهم من القرن العشرين الى السادس قبل الميلاد

حساب السنين

لم يكن للمصريين ولا للبابليين سنة واحدة يبدءون منها حساب تاريخهم فاذا أرادوا تعيين سنة مثلا قالوا إنها هى التى حدث فيها هذا الحادث أو ذاك أو هى السنة الاولى أو الثانية مثلا لهذا الملك أو ذاك وهكذا . أى لم يبدءوا تاريخهم من حادثة واحدة مهمة كميلاد المسيح أو هجرة النبى مثلا كما نفعل الآن . وعلى ذلك نرى بين المؤرخين الآن اختلافا كبيرا جداً فى حساب السنين فمنهم من جعل الاسرة الاولى يبتدىء حكمها سنة ٥٨٦٩ قبل الميلاد ومنهم من جعلها تبتدئ سنة ٣٢١٥ وهذا فرق كبير . ولا يتفق المؤرخون إلا عند الوصول الى القرن السابع قبل الميلاد

الفصل الثانى

مصـــر

وصفها و بدء قيام الحضارة فيهـا

وصف مصر

مصر كما قال هيرودوت هدية من النيل . والنيل بين جنادل اسوان والبحر الابيض المتوسط ينقسم الى جزأين يمتاز أحدهما عن الآخر تماما . يجرى الجزء الاول منه فى صدع فى الهضبة الافريقية والثانى فى سهل من الطين من صنعه فانقسمت مصر بذلك قسمين مختلفين : مصر العليا ومصر السفلى، الصعيد والدلتا .

الدلتا

أما مصر السفلى فدلتا تكونت فى البحر الملح فى آلاف من السنين وقبل أن تتولاها يد الانسان بالصرف والزرع كانت حمأة مستوحلة يكثر فى مستنقعاتها السمك والطيور المائية

وغربى الدلتا تمتد الصحراء الافريقية وبها بالقرب من مصر سلسلة من الواحات . ويسمى هذا الغرب ليبيا ومنها غزا مصر فى مختلف العصور اقوام شتى اخرجتهم من مواطنهم السنون المجدبة

وشرقى الدلتا صحراء جرداء ولكنها لم تمنع عن مصر اغارات المغيرين ففيها مسالك ودروب توصل لآسيا

الصعيد

ويحف بالصعيد من الجانبين حافتا الهضبة . ويختلف عرضه بينهما . وجنوبى طيبة يضيق الى ميلين . وعنـد اسوان وحلفا تعترض النهر أحجار شديدة الصلابة هى الجنادل

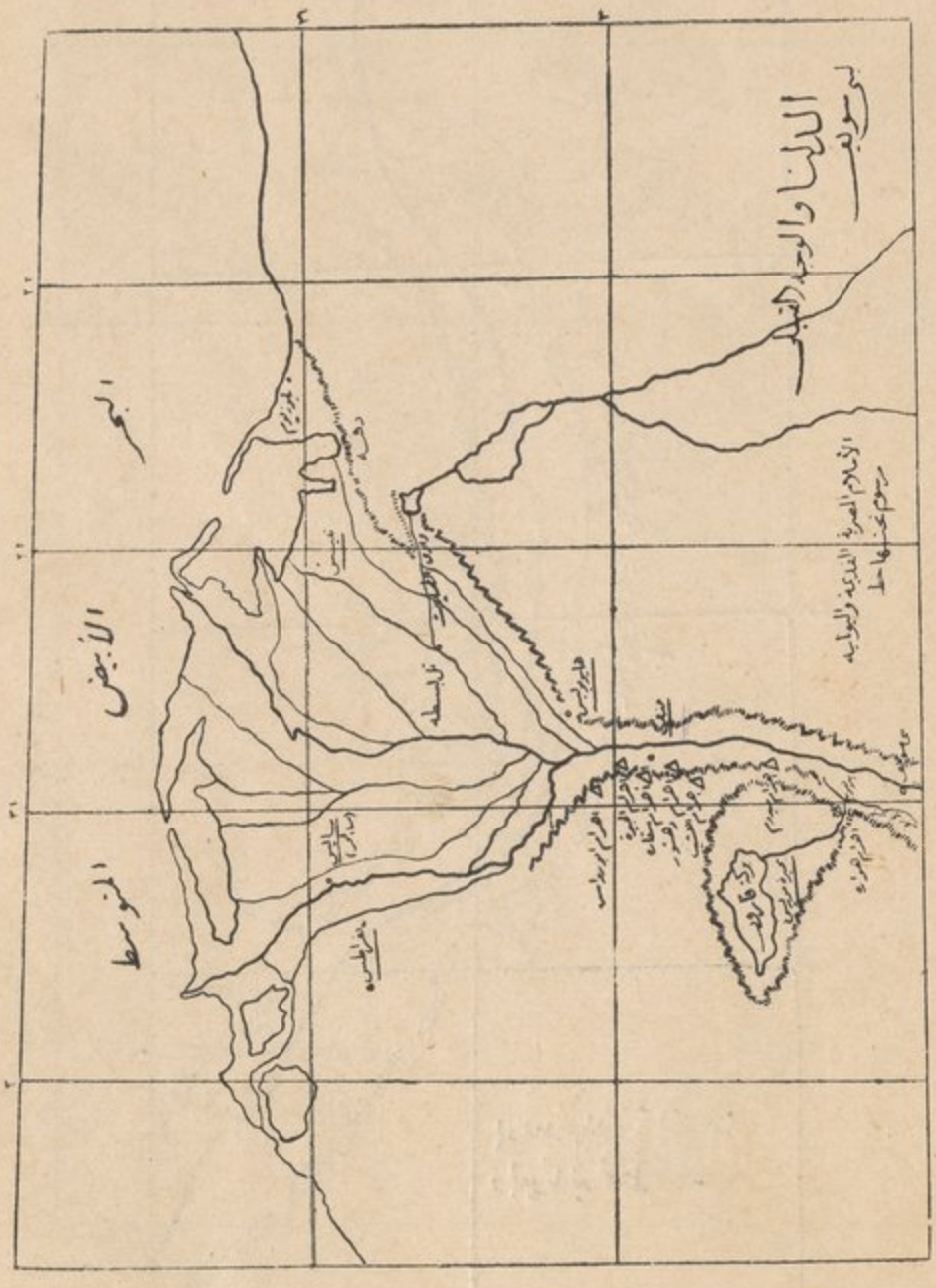
البحر
الأبيض
المتوسط
لبنان والوحدة العربية

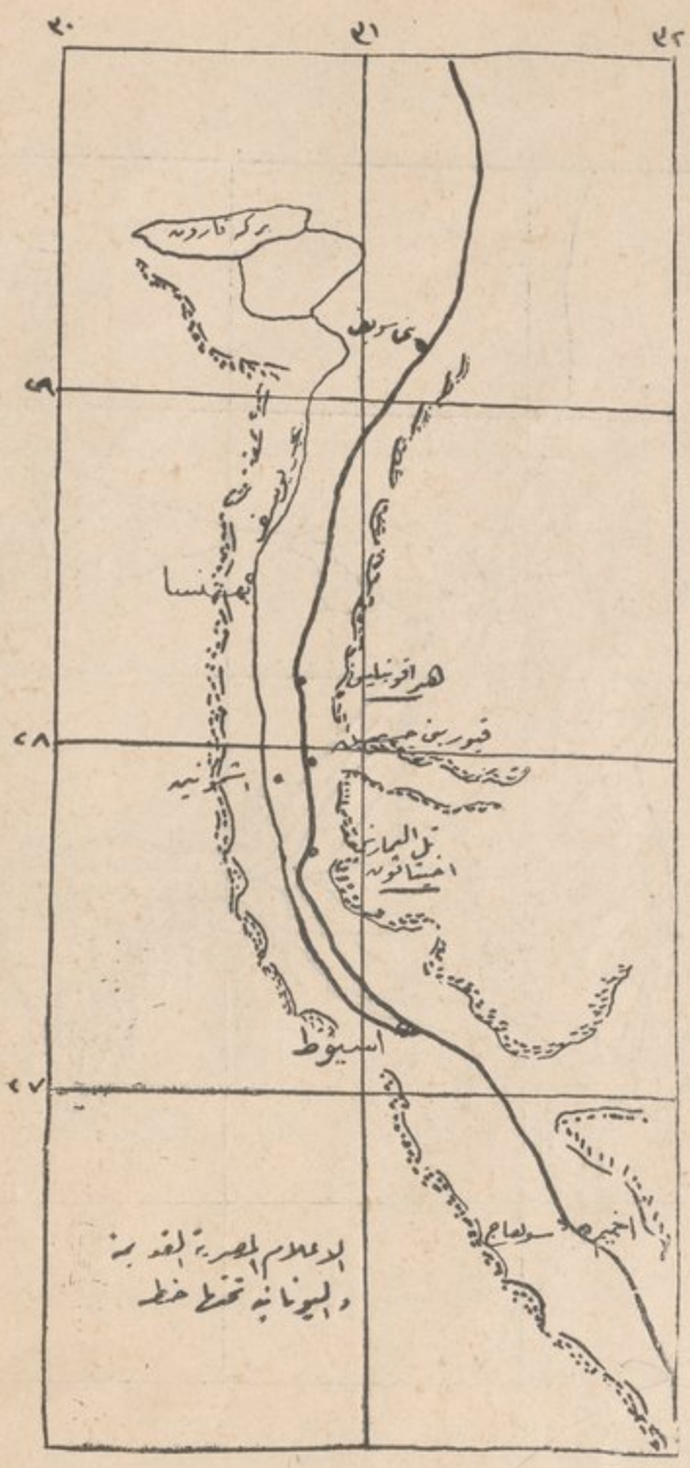
٣٠
٢٩
٢٨
٢٧
بركة قارونة
منسا
هرا قونبليس
قبور بني حسن
تل العمارنة
امنسا توبه
اسيوط
سوهاج
الاعلام المصرية الفقيرة
والبيوناية تخطط خطه

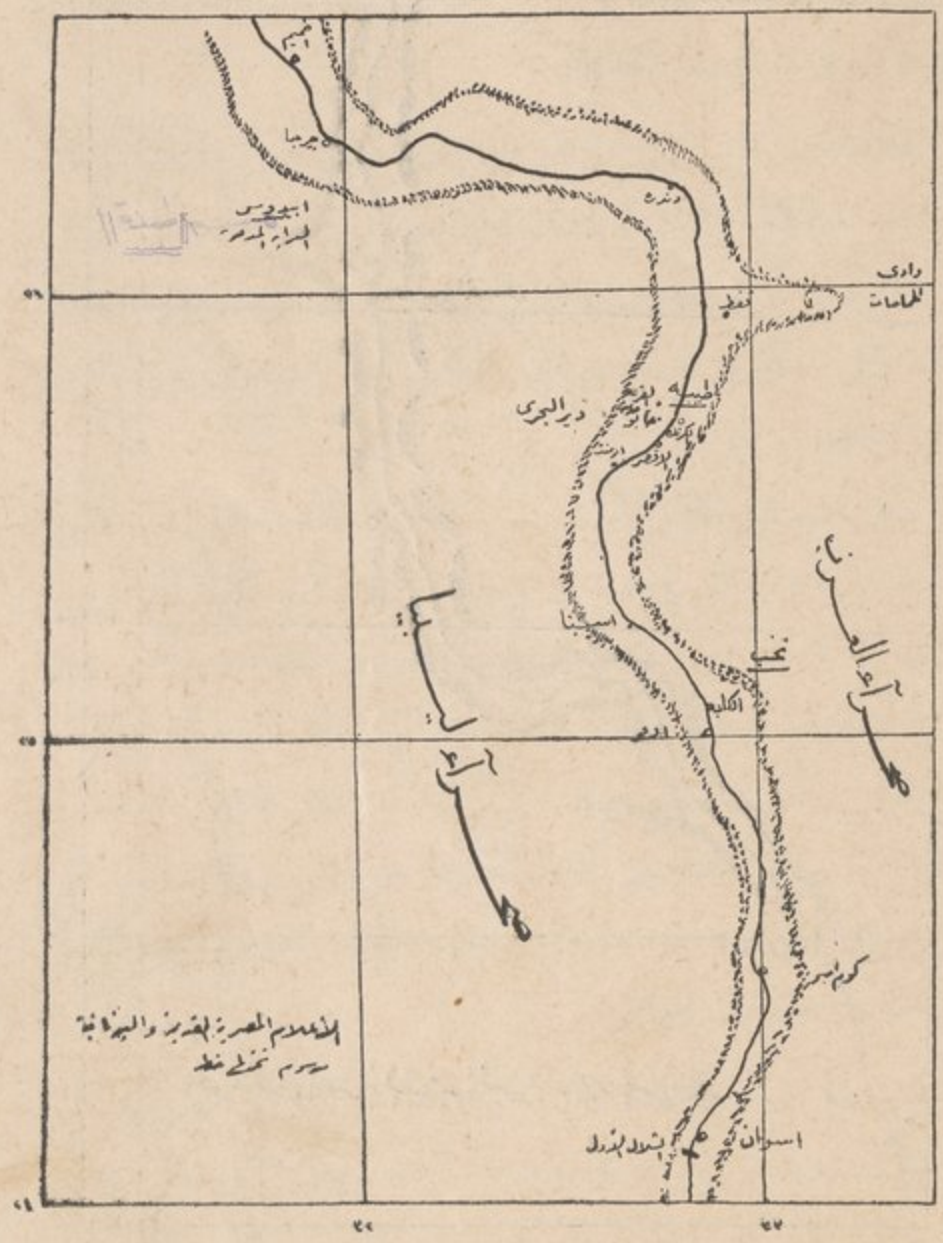

المعالم المصرية القديمة والحديثة
رسم تخطيطى

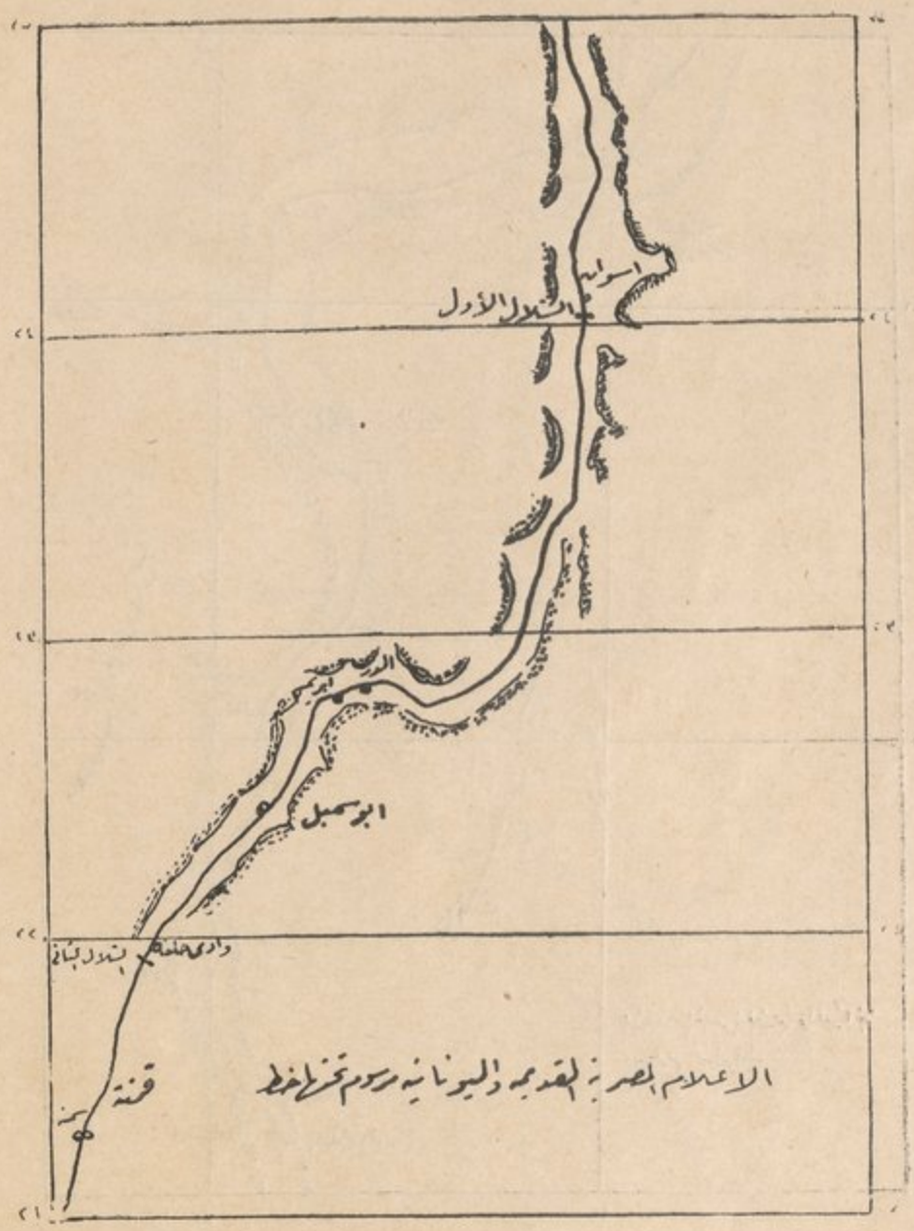

الاعلام المصرية القديمة واليونانية مرسوم تخطيط

وليس الصعيد بمعزل عن الارض شرقية وغربية فكلتا الحافتين تشقها فى عرضتها وديان عدة ، ومن أشهرها وادى الحمامات ويمتد الى البحر الاحمر من النيل عند قُفْط ، ويلاحظ اقتراب النيل هناك من البحر الاحمر . ويمتد فى المنطقة نفسها مسلك آخر نحو الواحة الخارجة . وبذلك كانت هذه المنطقة ذات شأن خاص فى تاريخ مصر القديمة .

هكذا مصر كل ما فيها متوقف على فيضان النيل ، يترقب أهلها ارتفاعه كل عام منذ آلاف السنين ويتساءلون فيما بينهم عن ارتفاعه ، ولكن الجواب عن ذلك ليس فى استطاعتهم ، فالنيل يجرى من بلاد بعيدة لم يعرفوا عنها شيئاً ، وكل ما يمكنهم عمله هو العناية بحبس الماء والقسط فى توزيعه ومنع الاسراف فيه

سكان مصر قبل التاريخ

سكن مصر قبل التاريخ أقوام بدأنا نعرف الكثير عنهم من الصور المرسومة على الخزف التى وجدت فى مقابرهم . والظاهر أنهم كانوا صيادين يقتاتون مما تناله رماحهم وتصيبه سهامهم ولم يظهر فى تلك الصور أنهم زاولوا الزراعة أو توجهت اليها أفكارهم . وكان لهم فى النيل قوارب تسير إما بالمجاديف وإما بالقلوع . أما مساكنهم فكانت اكواخا أقاموها على الارض المرتفعة التى لا يعلوها الماء . وقد وجدوا لهم أعلاما اتخذوها على قواربهم وقالوا إنهم كانوا قبائل لكل منها علمها وموطنها الخاص بها ، وسموه باسم معبودهم . وإن أقسام مصر القديمة أصلها تلك المواطن .

ولابد من أن سكنى هذه القبائل فى واد طويل كوادى النيل أدت الى ارتباطها بعضها ببعض ارتباطا تجاريا ، ولابد أيضاً من أن الارتباط التجارى سهل تبادلَ الافكار وتعلمَ الناس بعضهم من بعض . والثابت أيضاً أنهم اتصلوا بالبلاد خارج مجرى النيل .

أصل الحضارة المصرية

ومعنى ذلك ان مصر توافرت فيها كل مسببات الحضارة والحضارة المصرية أصلها حينئذ فى وادى النيل نفسه

ولكن من المؤرخين من يزعم أن أهم عناصر تلك الحضارة جلبه من الخارج أقوام اغاروا عليها . ويدعى انهم اسيويون لغتهم سامية دخلوا مصر من شرقى الدلتا أو من طريق وادى الحمامات الى النيل . ويستدلون على ذلك بدخول تراكيب سامية فى اللغة المصرية وبتغييرات شتى طرأت دفعة واحدة على عبادات المصريين وطرق دفنهم موتاهم .

ينكر ذلك القول مؤرخون آخرون . فيقولون بأنهم يجدون كل عناصر الحضارة المصرية المعروفة قبل التاريخ فى العصر الذى وصفنا حالة أهله ، ويرون أن دراسة اجناس سكان الوادى قبل التاريخ فيها تفسير لقيام الحضارة التاريخية

ولقد قسموا تلك الاجناس كما يأتى : —

أولا — سكان الصعيد وهم جنس أقنى الانف ناعم الشعر يشبه القبائل التى تسكن الآن بلاد الصومال شبها تاما

ثانياً — سكان الدلتا وهم ليبيون يشبهون الاسيويين الساكنين شرقى الدلتا ولغتهم سامية . والظاهر أن هؤلاء الليبيين تغلبوا على سكان الدلتا الأصليين وهم من الجنس الافريقى الابيض أو جنس البحر الابيض المتوسط ودفعوهم نحو الصعيد . وقد أثروا فى لغتهم ودينهم وصبغوهما بصبغة اسيوية ونشروا صناعة المعادن ثم حدث بعد ذلك تغلب أهل الصعيد على الدلتا وتأسيسهم مملكة واحدة نشطت فيها الحضارة

وعلى ذلك لم تنشط الحضارة تبعاً لاغارة أجنبية

ولا ينافى ذلك أبداً ان سكان الصعيد أصلهم من الصومال أو من شبه جزيرة العرب وقد كان المصريون القدماء يعتقدون ذلك ولهم فى ذلك قصة كبيرة منقوشة على جدران معبد ادفو الذى بُنِى فى عصر البطالسة . وملخص تلك القصة أن المعبود حوريس الذى كان ابوه يحكم فى بلاد النوبة ركب سفينة وتبعه كثير من الجند ونزل منحدراً فى النيل وكان وقتئذ يشغله المعبود ست وأتباعه وتقاتل المعبودان وأتباعهما الى أن تم النصر لحوريس . ويرى

المؤرخون أن تلك القصة مجموع وقائع تاريخية حقيقية تناقلها المصريون الى زمن البطالسة حين دونوها ، وأنها تشير الى شيئين متميزين لم يحدثا فى وقت واحد وهما :

أولا : قدوم أجداد أهل الصعيد من الجنوب الشرقى

ثانياً : انشاؤهم حكما قوياً فى جنوبى الصعيد (فى منطقة ادفو والكاب التى تبينت (١) قيمتها الجغرافية) وتغلبهم بعد ذلك على سكان الدلتا بعد أن تعلموا من أهله صناعة المعادن الاسيوية الأصل .

(١) راجع صحيفة ١٥

الفصل الثالث

اتحاد الصعيد والدلتا

نتائج تغلب الصعيد

لما تغلب الصعيد واتحد وادى النيل كله تحت حكم ملك واحد حلت بمصر نهضة كبيرة . ولملوكها الأول فضل كبير ، فقد وحدوا مصر ووضعوا الأساس الذى قامت عليه حضارة عصر بناة الاهرام العظيمة.

مينا

ويصعب علينا أن نصدق أن ذلك العمل كله قام به ملك واحد، والمعقول أن يكون ذلك ثمرة جهاد ملوك كثيرين . فعلى ذلك لم يكن « مينا » هو الذى قام وحده بتوحيد مصر ووضع أساس عظمتها .

الاعمال المنسوبة اليه

قال المؤرخ هيرودوت إنه لما تم أمر اتحاد المملكة لمينا أراد هذا الملك الطينى (أى من طينة إحدى بلاد الصعيد) أن يتخذ له عاصمة تكون مركزا لأحكامه، فاستحسن الموضع الذى به الآن ميت رهينة فخاطه بجسر . وكان النيل يجرى بجانب هضبة ليبيا فحوله فى مجرى مهده بين الجبلين ، ثم حاط الارض التى تخلفت من ذلك بالجسور وخط فيها مدينة منف، ثم احتفر حولها فى الجهة البحرية والغربية بحيرة يأتيها الماء من النيل الذى يحد المدينة من الجهة الشرقية فصارت محصنة يحيط بها الماء من ثلاث جهات .

ملوك مصر المتحدة الاول

والظاهر لأحدث المؤرخين أن نسبة كل ذلك لمينا أمر غير مقبول . بل إن بعضهم يشك الآن فى وجود مينا نفسه ويعتقد أن ملكا آخر من ملوك مصر المتحدة الأول أولى منه بالشهرة، ذلك الملك هو « نارمر » الذى أتم تغلب الصعيد على الوجه البحرى واتخذ عاصمته موضع كفر طرخان التى تبعد عن القاهرة بخمس وعشرين ميلا .

ومهما كان من أمر ذلك فأصلهم كلهم من طينة بالقرب من جرجا وكانوا يدفنون فى الموضع المعروف الآن بالعرابة المدفونة

الاسرتان الثانية والثالثة

وقد تمم ملوك هاتين الاسرتين الوحدة الوطنية ومهدوا بعمارتهم لرقى مصر أيام بناة الاهرام فى البناء وصنع التماثيل والرسم ودقيق الصناعات واتقان الكتابة والاستعانة بها فى تزيين المعابد والقبور .

الملك زوسر

ومن أشهرهم الملك «زوسر» ويدل على رقى الحضارة فى عهده اتخاذه قبراً من الحجر وهو المعروف بالهرم المدرج فى سقارة . وهذا الهرم يشتمل على ست درجات بعضها فوق بعض تنتهى بالشكل الهرمى بحيث تنقص كل درجة عن تاليتها مترين تقريباً ، وهو مبنى بصخور صغيرة و بداخله طرق يضل فيها الانسان ان لم يكن له مرشد . و بنى لنفسه أيضاً قبراً آخر من الطراز المعروف باسم « مصطبة » فى بيت خلاف وربما عمل ذلك ارضاء لاهل الجنوب

الملك سنفرو

والملك سنفرو أيضاً من الملوك الأول ذوى الشأن . حارب قبائل البدو الرحالة فى سيناء وقد طمحت اليها اطماع الفراعنة الأول لما فيها من المعادن . وله هرمان أحدهما فى دهشور والثانى فى ميدوم .

الفصل الرابع

الدولة القديمة والدولة الوسطى

٣٢٠٠ — ١٨٠٠ ق . م

عصر بناة الاهرام

ختم الملك سنفرو العهد الأول من تاريخ مصر الذى تم فيه توحيد قسميها فى مملكة واحدة . وقد بدأ أيضا عهدا آخر هو عهد بناة الاهرام فكان حكمه صلة بين عهدين . وكانت مدافن الملوك حتى أيام هذا الملك بسقارة ولكنه وملوك الاسرة الرابعة الذين تلوه تركوها . فبنى سنفرو هرميه جنوبيها فى دهشور وميدوم و بنى خوفو وخفرع ومنقرع أهرامهم شماليها

الهرم

والهرم بناء من الحجر داخله مخدع فيه تابوت الملك وبالقرب منه معبد ملحق به تقام فيه الصلوات على روح الملك وتخزن فيه الاشياء المختلفة التى كانوا يعتقدون أنها تلزم الروح فى العالم الآخر . وبالقرب منه أيضاً قبور الامراء وغيرهم من تابعى الملك .

وأجمل الاهرام كلها الهرم الذى بناه خوفو ومن تأمل فى الاهرام الموجودة يجد فيها تدرجا يمكننا تتبع خطواته .

المصطبة

أول تلك الخطوات القبور المعروف الواحد منها باسم المصطبة والمصطبة

شكل (٤) مصطبة زوسر ببيت خلاف

بناء مستطيل الشكل من الحجر أو اللبن تميل جوانبه الأربعة نحو مركز واحد وفى الجانب الشرقى منه فتحة توصل الى مخدع به الميت

الهرم المدرج

كانت الخطوة الثانية الهرم المدرج . وهو عبارة عن مصاطب بعضها فوق بعض أكبرها المصطبة السفلى وتنقص عنها التى تتلوها وهكذا .

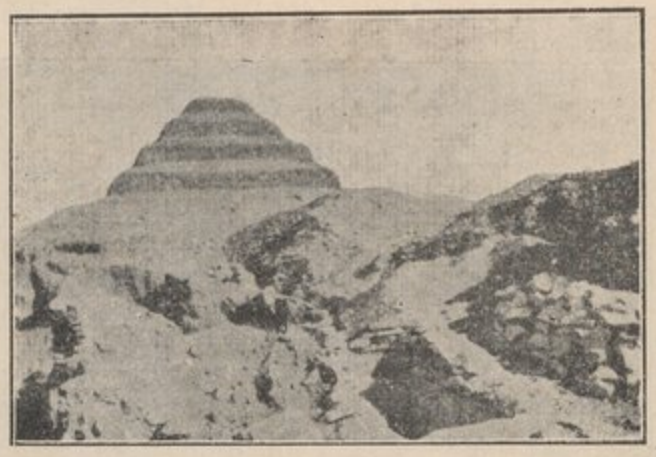

شكل (٥) الهرم المدرج بسقارة

والخطوة الثالثة كانت كسوة الهرم فكان الناظر يظنه قطعة واحدة قد سبكت فى قالب الدقة والاحكام .

مايدل عليه بناء الاهرام

و بناء الاهرام يدل على قوة الملوك الذين بنوها وشدة بأسهم ، وعلى حسن نظام الحكومة أيامهم وإلا فما أمكنهم جمع الجم الغفير من العمال اللازمين للبناء ولا قطع الاحجار من المحاجر فى البر الشرقى للنيل ونقلها الى البر الغربى .

وتدل أيضاً على عظمة أولئك الملوك الذين استودعوا أجسامهم مدافن تنافس الدهر البقاء .

وليست عظمة البناء هى كل ما يستوقف النظر ، فقد استلزم صنع السراديب الخفية والمخادع الداخلية وحساب الزوايا وتنسيق الاجزاء وتناسبها ولحم الاحجار علماً كبيراً بقواعد البناء وهندسة العمارة .

يدلنا كل ذلك على أن المصريين بلغوا فى ذلك ما بلغه المهندسون

الذين حفروا قناة السويس وشيدوا سد اسوان ، وعلى أنهم استكملوا كل عناصر الحضارة قبل ميلاد المسيح بأربعة آلاف سنة .

آثار ذلك العصر الاخرى

وليست الاهرام كل آثار ذلك العصر الزاهر ، فقد ترك أهله تماثيل بلغت فى محاكاة الحياة ودقة التعبير عن الوجدان مبلغاً لانجده إلا فى تماثيل الاغريق

شكل (٦) تمثال الكاتب القاعد القرفصاء (متحف اللوفر)

وقت نهضتهم . ومن أشهر تماثيلهم تمثال الكاتب القاعد القرفصاء الموجود الآن فى متحف اللوفر وتمثال «رع حتب» وتمثال الاميرة «نفرت» . ومن تأمل فيه يجد صانعه قد أبدع فيه . فعليها قميص لاصق بجسمها ترى منه هيئة أجزاء جسمها بغاية من اللطف والعصمة ، ولها شعور كثة مربوطة من فوق جبهتها بعصابة مزركشة ووجهها ممتلىء وعيونها واسعة وفمها مبتسم . ويزيد فى الدلالة

على علو كعب المصريين فى صنع التماثيل أنها كلها من أحجار شديدة الصلابة كالمحبب مثلا

شكل (٧) تمثال رع حتب

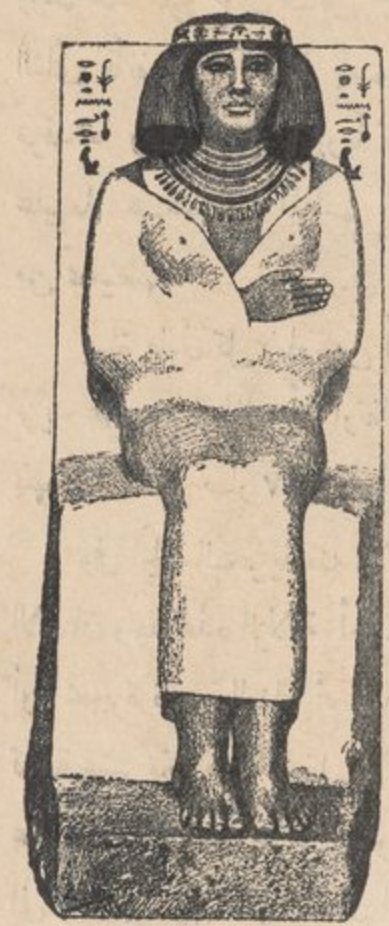

شكل (٨) تمثال الاميرة نفرت

ولم تبلغ صناعة التماثيل بعد مابلغته فى ذلك العصر. فصار الصناع يخضعون لقواعد لايحيدون عنها فى تركيب أعضاء الجسم مما جعل تماثيلهم بعيدة عن الحقيقة.

بناء الهرم الكبير

بنى خوفو الهرم الكبير كالطود العظيم وأسس باقامته دعائم شهرته. وقد قال هيرودوت اليونانى إنه سخر فى بنائه مائة الف عامل كانوا يبدلون بمثل عددهم كل ثلاثة أشهر، وكان بعضهم ينحت الاحجار و بعضهم ينقلها الى النيل و بعضهم يتسلمها و ينقلها الى البر الغربى، وإنهم عملوا أولا فى عشر سنين طريقا لنقل الاحجار بين النيل وموضع الهرم، وإنهم صرفوا فى البناء نفسه

عشرين سنة . وادعى هيرودوت أيضاً أن خوفو أغلق المعابد ومنع العبادة ثم أنه ندم فى آخر أيامه على عسفه وضلاله فاستقام فى أحواله وصار تقيا صالحا . وزعم هذا المؤرخ أن الناس جميعاً أبغضوا هـذا الملك وخلفه الذى بنى الهرم الثانى فأنفوا من التلفظ باسميهما وتغالوا فى الكره فأخرجوا جثتيهما من مرقدهما وقطعوهما إرباً إرباً ثم دفنوهمـا فى مخابىء لم يتيسر لأحد العثور عليهما . هـذه هى المزاعم الاغريقية يرددها الناس حتى الآن فلا بد من تمحيصها .

وصف الهرم الكبير

يبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدته نحو ٢٣٣ مترا أى أن مسطحها يزيد على ١٢ فدانا ، أما ارتفاعه فكان وقت تشييده ١٤٥ مترا ثم تناقص بتهدم قمته حتى صار ١٣٧ مترا

وفى الجهة البحرية منه زلاقة خفية تسد بحجر يدور على محور ، فاذا فتحه الانسان وجد هذه الزلاقة أمامه وطولها ٩٧ مترا . واذا سار فيها وجدها تمر أولا بحجرة ناقصة البناء ثم تنتهى بسرب افقى . وتصعد من الزلاقة على بعد تسعة عشر مترا من المدخل زلاقة صاعدة توصل الى مخدع الملك وهى حجرة عظيمة جميع أحجارها من الصوان المصقول وفيها منفذان للهواء يخترقان الهرم الى الخارج . وبها تابوت كان الملك مدفونا فيه . ويخرج من الزلاقة الصاعدة سرب أفقى موصل الى حجرة تعرف الآن بغرفة الملكة . وعند بدء ذلك السرب فوهة بئر يبلغ عمقها ٦٣ مترا . وفوق مخـدع الملك خمس حجرات بعضها فوق بعض القصد منها تخفيف ثقل البناء .

وصف هرم خفرع

بنى الملك خفرع الذى حكم بعد خوفو هرما شاهقا بالقرب من الهرم الكبير إلا أنه أصغر منه وكان مكسواً أول الأمر بالحجر الجيرى وقد ذهبت عنه الكسوة ولم يبق منها إلا القليل عند القمة

وصف هرم منقرع

وهرمه أصغر الثلاثة وكانت كسوته مصقولة صقلا جيدا وزعم مؤرخو الاغريق أن منقرع كان أعدل حكما وأرأف بالرعية من سلفيه فلهج الناس بمدحه

هل فى بناء الاهرام عسف

والواقع أن هؤلاء المؤرخين بالغوا كثيراً فى وصف عسف خوفو وخفرع. فالثابت أنهم لم يسخروا الناس فى العمل الا وقت الفيضان وكان اذ ذاك وقتا يغمر فيه النيل الارض وتتعطل الحياة الزراعية الى أن ينحسر الماء. وان التسخير مدة ثلاثة شهور فقط لم يكن فيه مشقة كبيرة. هذا الى أن التسخير كان فى عمل فنى عظيم اكسب الشعب دراية فنية عظيمة ومهارة فائقة فى اتقان الصنع

ولم نسمع عن قدماء المصريين مايدل على قسوة كما سمعنا عن غيرهم من أمم الشرق القديم كالاشوريين.

ولم يكن الملك المصرى من السلطة بحيث يفعل مايريد فقد كان خاضعا لقواعد مرعية لايحيد عنها ارضاء لحاجة فى نفسه أو تشفيا من مسئ. ولا ينقض ذلك أن المصريين ألهوا ملوكهم، فآلهة الوثنية لاتختلف فى فضائلها ونقائصها عن البشر.

الاسرة الخامسة

اصلها

ظهرت الاسرة الخامسة إثر الرابعة. وكانت بين المصريين القدماء قصة شائعة مؤداها أن الثلاثة الملوك الأول من هذه الأسرة من نسل رع معبود الشمس. وقد استنبط المؤرخون من تلك القصة أن مؤسس الاسرة الخامسة من نسل الكهنة. فيكون الكهنة بذلك قد أصبح لهم نفوذ سياسى فى آخر أيام الاسرة الرابعة ثم اغتصبوا العرش لانفسهم

الحضارة ايام الاسرة الخامسة

وقد ساس ملوك هذه الاسرة البلاد سياسة لابأس بها وشادوا اهراماً وأصلحوا المعابد، إلا أن الاهرام التى بنوها أصغر كثيراً من أهرام الاسرة الرابعة ولكنها أجمل منها زينة. وتمتاز المعابد الملحقة باهرام الاسرة الخامسة بعمدها المصنوعة من المخبب وبالرسوم الجميلة على جدرانها (١)

الدين أيام الاسرة الخامسة

هرم اوناس

ابتدأ المصريون أيام الاسرة الخامسة يجمعون معتقدات دينية مختلفة معاً فقد وجد الباحثون فى حجرات هرم الملك اوناس بسقارة نقوشاً هيروغليفية على الجدران هى مجموع طلاسم وعزائم تحول المآكل والمشارب الى حقائق

---

(١) يتجلى الاتقان الذى بلغه فن الرسم أيام هذه الاسرة فى الرسوم المنقوشة على جدران قبرى تى وبتاح حتب بسقارة

يتناولها الملك اوناس وتنوب عن الضحايا والقرابين المرتبة للهرم متى انقطعت وتحفظ الروح من الاخطار التى تهددها فى الدار الآخرة فتمنع عنها نهش الثعابين والحشرات السامة، وتقيها شر الارواح الشريرة وهكذا . وهذه النقوش المختلفة مبدأ مجموعة مدونة فى كتاب كبير يعرف بين المؤرخين باسم كتاب الموتى

كتاب الموتى

الادب أيام الاسرة الخامسة

وأجمل ما وصل الينا من الأدب المصرى القطع المعروفة بنصائح بتاح حتب وهى تنم عن فكر سديد . تحث على طلب العلم وعلى الرحمة بالمرءوسين ، وعلى حب الزوجة واكرامها ، وعلى أداء الواجب وحسن المعاملة والقناعة

نصائح بتاح حتب

وقد جاء فيها : لا يحملنك علمك على التكبر ، واستقم مع الجاهل والعالم، لأن الباب لم يغلق دون الفن ، ولا نال استاذ ما يدعيه من الكمال لنفسه . اذا كنت رئيسا تحكم فى أمور كثيرة فابحث عن اكمل شريعة لتكون غير ملوم. ما أعظم العدل الثابت الاركان الذى لم يكدر صفوه منذ عهد المعبود اوزوريس . حدود العدل ثابتة .

الاسرة السادسة

أشهر ملوك هذه الاسرة الملك بيبى الأول وقد طال حكمه نحو عشرين سنة وظهرت آثار همته فى جميع الارجاء . فغزا بلاد النوبة وهزم بدو طور سيناء .

بيبى الاول

وزيره أونا

وقد ترك وزيره اونا وصفا طويلا لتلك الأعمال والغزوات والنعم التى أغدقها بيبى عليه جزاء صادق خدمته .

والظاهر فى وصف أونا أن القصد من تلك الغزوات كان الحصول على حاصلات بلاد النوبة وطور سيناء ومنع أهلها من الاعتداء على حدود الدولة المصرية .

ضعف الملكية وبدء نظام الالتزام أو النظام الاقطاعى

وفى أيام هذه الاسرة بدأ الضعف يدب فى سلطة الملك . ومما يدل على ذلك أن الامراء بعد أن كانوا يدفنون بالقرب من قبر الملك صاروا يدفنون فى بلادهم . وكانوا يقتتلون فيما بينهم ، فساد الاضطراب واختلت أحوال البلاد وانحط الفن المصرى . واغتصب الامراء وظائف الدولة . وهذا هو بدء نظام الالتزام .

وفى هذا النظام لا يقتصر صاحب الأرض على زرعها وتأدية ما عليها بل

يقوم بوظائف مهمة مثل ادارة الأمور والقضاء بين الساكنين فى أقطاعه أو دائرة التزامه .

ظهور طيبة

فظهرت أسرات قوية فى مدن مختلفة مثل ارمنت وأسيوط وطيبة . وكل هذه الاسرات لها استقلال كبير من الملوك الذين حكموا بعد الاسرة السادسة

وقد قويت شيئاً فشيئاً أسرة الامراء الحاكمين فى طيبة و بدأت منذ ذلك الحين عظمة تلك المدينة الخالدة الصيت . ولطيبة موقع جغرافى يفسر مكانتها التاريخية ، فهى فى وسط سهل خصب متسع وأمامها أرض وعرة فيها أخوار ووهدات قحلة تسهل حمايتها وممكن منها سد الطريق فى وادى النيل .

الاسرة الحادية عشر الدولة الوسطى

ثم تمكن الامراء من اعتلاء العرش وتوحيد مصر تحت حكمهم وأسسوا الاسرة الحادية عشرة وهى بدء الدولة الوسطى

الاسرة الثانية عشر امنمحت الاول

وأول ملوكها امنمحت الأول وقد جد فى ازالة الفساد الذى أوجدته الحروب الداخلية ، فأخذ يستميل اليه بعض الأمراء بتوسيع اقطاعاتهم ، ويعاقب المشاغبين منهم بانتزاع أرضهم منهم . ويتفقد البلاد مهتما بمصالح الفلاحين فاقام احجاراً للحدود ، و بين لكل انسان أرضه وأملاكه ، ووزع عليهم المياه بالعدل ، وأرسل الحملات فأدبت العدو على الحدود وخلص الفلاحين من غاراتهم ونهبهم . فحق لامنمحت أن يفخر فى قوله : لا جائع تحت حكمى ولا ظمآن فى أيامى

الفيوم عاصمة المملكة

وقد اتخذ خلفاؤه الفيوم مقراً لحكمهم

امنمحت الثالث

وأشهر هؤلاء الخلفاء امنمحت الثالث وكان شديد الاهتمام بالزراعة والرى وخلف آثاراً عظيمة أثارت الاعجاب وكثرت الروايات الخرافية بشأنها

رواية هيرودوت

فمن ذلك ما رواه هيرودوت من أن الملك موريس (وهذا الملك لا ذكر له فى النصوص المصرية) صنع فى الفيوم خزانا واسعا يجمع فيه ما يزيد من فيضان النيل ، وكان محوطا بجسر كبير يبلغ محيطه تسعين ميلا ومتصلا بالنيل بترعتين فى كل ترعة قناطر لتخزين المياه وصرفها . فاذا لم يكن الفيضان كافيا صرف من البحيرة القدر اللازم للرى . واذا كان عاليا وخيف الغرق صرف الماء الزائد الى البحيرة وخزن فيها .

والحقيقة أنه لم يكن هناك خزان فالبحيرة التى نظرها هيرودوت هى من فيضان النيل نفسه على أرض منخفضة بطبيعتها والجسر الذى رآه هو أحد الجسور الفاصلة للحياض . أما ما عمله امنمحعت فكان اقامة سد عند اللاهون أى فى الفجوة الواصلة وادى النيل بمنخفض الفيوم تمكنه من التصرف فى الماء الذاهب للبحيرة . وقد تمكن امنمحعت أيضاً من صرف الماء من جزء عظيم من اراضى الفيوم وتحويله بذلك الى أرض زراعية خصبة. وقد زاد البطالسة بعد ذلك فى الصرف وأقطعوا الارض هناك عساكرهم .

آثار امنمحعت فى الفيوم

وقد أقام امنمحعت تمثالين عظيمين كل منهما يتكون من حجر واحد وارتفاع الواحد منهما ثلاثة عشر مترا . وكانا وقد بزغت الشمس وأرسلت أشعتها نحو ماء البحيرة مثيرين لاعجاب الناظرين . و بنى معبدا عظيما عند هواره . وهذا المعبد هو الذى وصفه هيرودوت فقد كان قائما فى ايامه وسماه قصر اللابيرانته

قصر اللابيرانته

أو قصر التيه لان حجراته تتصل بطرقات صنعت بمهارة فائقة بحيث لو دخلها غريب لايهتدى الى الخروج منها مالم يكن معه مرشد . وقد قال هيرودوت بأنه نظرها فوجدها أعظم من شهرتها وأنها فاقت جميع مبانى اليونان وكافة عمائرهم وظن أنها كانت دارا يجتمع فيها ممثلو الاقاليم للتشاور فى أمور البلاد والظاهر أن أصل هذه الفكرة وجود رسوم على جدران البناء تمثل الاقاليم المصرية .

الحضارة المصرية فى حكم الدولة الوسطى

أول ما نلاحظه على الحضارة أيام الاسرة الثانية عشرة اتساع تجارة مصر وعلاقاتها الخارجية . وعنى بأمر التجارة وجعلها وزارة السيس رئيسى

العلاقات الخارجية

وسبب هذه العلاقات رغبة أولئك الفراعنة العظام فى الحصول على ما يلزمهم من الاحجار والاخشاب والمعادن المختلفة التى لم يجدوها فى مصر نفسها . فكثرت الرحلات الى بلاد النوبة والصحراء الغربية وطور سيناء ولبنان وسوريا والصومال . واتسع نطاق التجارة فاتصل المصريون بالحضارة العظيمة التى كان مقرها جزيرة كريد

اثر النشاط التجارى فى الآداب

وكان لهذا النشاط أثر بيّن فى الآداب المصرية فورد فى قصص المصريين المتداولة وصف ممتع للاماكن النائية عن بلادهم

قصة البحرى الغريق

من هذه القصص قصة البحرى الغريق . قال إنه ركب سفينة كبيرة فيها ١٥٠ ملاحا من نخبة المصريين الذين لهم قلب جسور كقلب الأسود ، وبينما كانوا مجدين فى التقرب من البر اشتدت الرياح وارتفعت الامواج ففرقت السفينة وهلك من كان فيها . أما هو فألقته موجة على جزيرة وجد فيها مايقتات به ثم سمع صوتا كصوت الرعد ولمح ثعباناً يقترب منه طوله ثلاثون ذراعا ولحيته طولها ذراعان وجسمه كالذهب . وبعد محادثة قص فيها البحرى قصته أقام مع الثعبان مدة مكرماً . ثم أتت سفينة حملته الى بلاده واستحالت الجزيرة عند مغادرته اياها الى لجة ماء . ولايخفى الشبه الكبير بين هذه القصة وقصص السندباد البحرى المعروفة

قصة سنوحيت

ومن هذه القصص أيضاً قصة سنوحيت وكان أحد أبناء امنمحعت الأول ، وفرّ عند موت أبيه الى فلسطين وأقام فيها مدة ثم عاد الى مصر بأذن من ملكها . وفى هذه القصة وصف دقيق جداً لحياة البدو المقيمين شرقى مصر .

مصر والنوبة

اتجه نشاط المصريين نحو النوبة كما اتجه نحو فلسطين وسوريا . فأخضع أمرتسن الثالث أحد ملوك الاسرة الثانية عشرة النوبيين وبطش بهم وقسا عليهم وبنى بالقرب من الشلال الثانى قلعتى سمنه وقمنه على البرين وجعلهما الحد الجنوبى بين مصر والشعوب السوداء لاتتعداه سفنهم شمالا الا اذا كانت تقل تجارة

الفن المصرى

كان الفن المصرى أزهر ما كان أيام الدولة الوسطى فقد بلغ الصناع فى صنع دقيق الاشياء كالحلى مبلغاً كبيراً من الاتقان

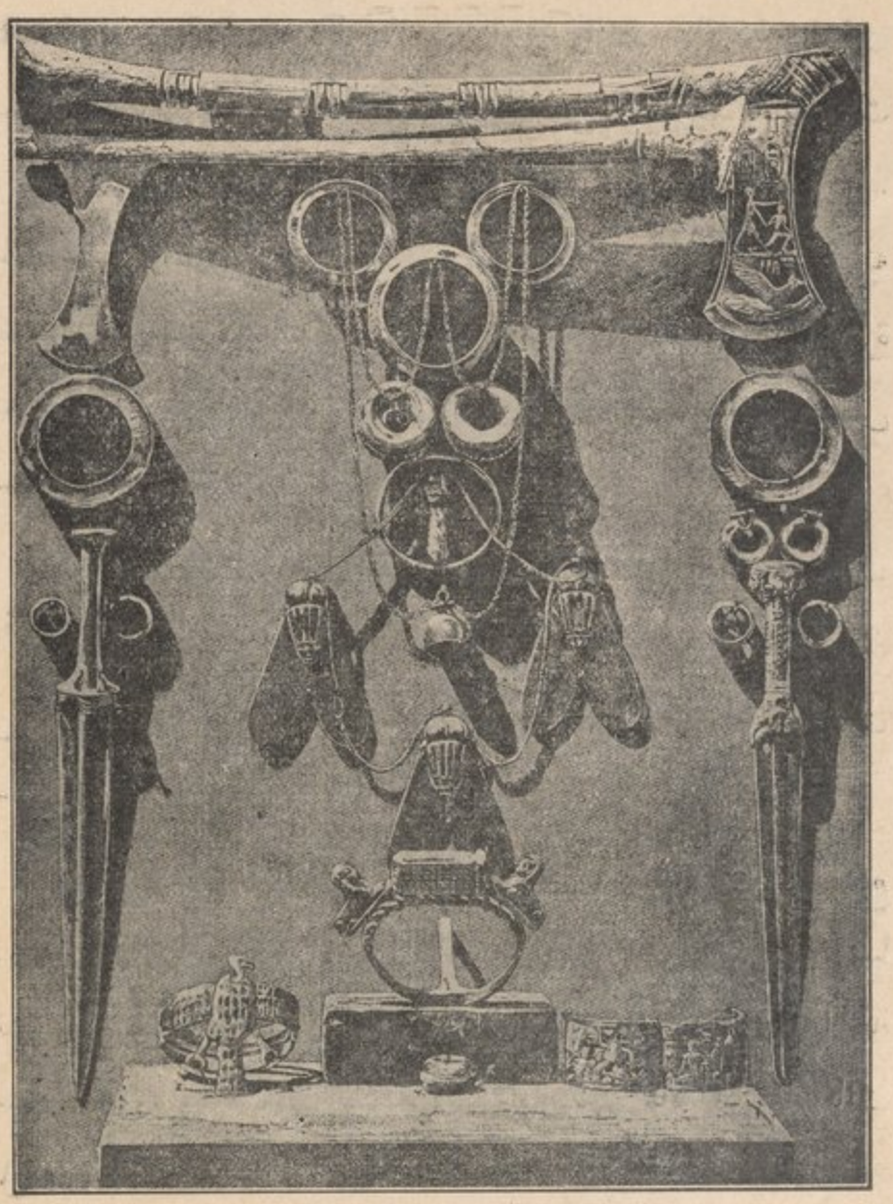

شكل (٩) مثال من صناعة المعادن المصرية

وامتازت مبانى ذلك العصر بحسن الذوق وجمال التناسب ، ولم يسع رجال الفن الى ضخامة البناء وشهوقه . وهذه مقابر بنى حسن أثر خالد يفوق جمالا المبانى

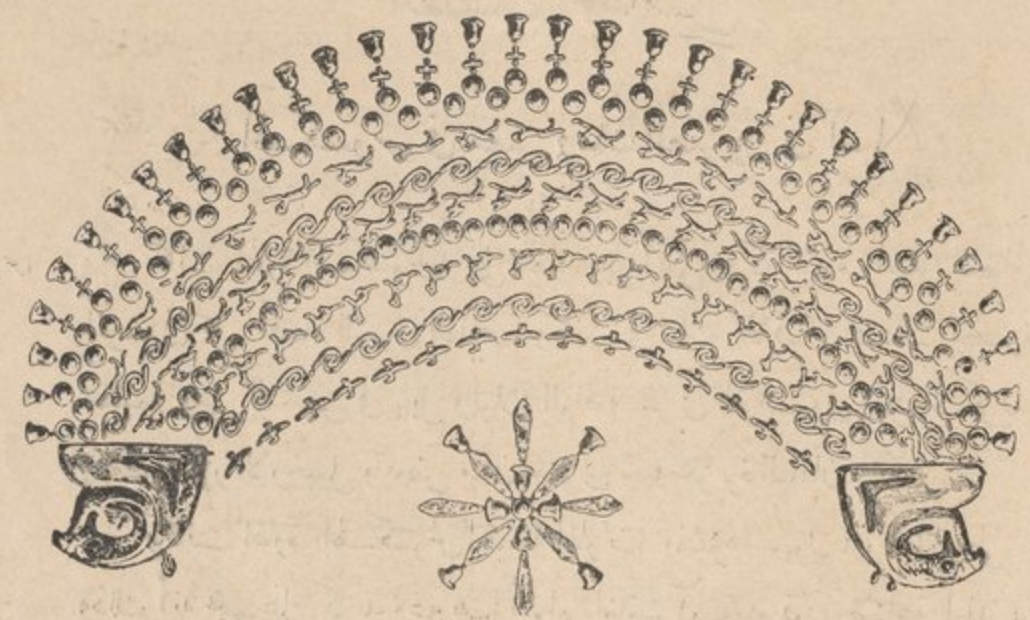

شكل (١٠) مثال من صناعة الحلى المصرية

التى أقامتها الدولة الحديثة عند طيبة والتى لا شىء فيها الا كبرها .

الدين المصرى

وأهم ما طرأ على الدين من تغيير ظهور معبود طيبة المسمى أمون تبعاً لظهور تلك المدينة السياسى وقد وحَّدَه المصريون بمعبود هليو بوليس المسمى برع

الانحطاط بعد الاسرة الثانية عشرة

حل بمصر الانحطاط بفقدها استقلالها ووقوعها تحت حكم جماعات اسيوية هم الهكسوس أو الرعاة ولهذا الحادث شأن كبير اذ به دخل تاريخ مصر فى طور اتصال بأمم الشرق القديم .

الفصل الخامس

الهكسوس فى مصر وملك المصريين فى آسيا

اغارة الهكسوس على مصر

كانت اغارة الهكسوس على مصر جزءاً من حركة كبيرة واسعة النطاق أثرت فى كل أقسام الشرق القديم ، وكانت فى تلك الاقسام اذ ذاك حضارة عظيمة وعلى الاخص فى بابل والبلاد الواقعة غربى الفرات وفى جزيرة كريد وبعض جزر الارخبيل و بعض مدن جنوبى شبه جزيرة البلقان .

وكانت اغارة الهكسوس نتيجة اغارات منشؤها سهول أوربا الوسطى . وذلك أنه هجم على كريد وغيرها أقوام لغاتهم آرية يعرفون صناعة الحديد فكانوا شديدى البأس . وقد أدى تغلبهم على العالم الكريدى الى الاضطراب فى العالم الاسيوى والى دفع بعض شعوبه نحو وادى النيل .

من هم الهكسوس

وصف المصريون المغيرين عليهم بأنهم رعاة ولكن لا يكفى هذا الوصف للدلالة على حقيقة حالتهم فلم يكونوا متبربرين أو كلهم بدوا ؛ فكان منهم أقوام تعلموا الحضارة البابلية فى مواطنهم غربى الفرات ، ومنهم رجال يتكلمون لغات آرية من الاناضول .

وكان لهم تفوق حربى على المصريين اذ كانوا يستعملون آلة حربية لم يعرفها المصريون هى العجلة الحربية تجرها الخيل فكانت العجلات تنشر الاضطراب فى صفوف المشاة أمامها وتخل بنظامهم فتسبب هزيمتهم .

حكمهم مصر

كانت عاصمتهم فى شرقى الدلتا . وذلك كى يكونوا على مقربة من آسيا التى بقيت لهم بها صلات .

وما لبثوا ان تحضروا وعبدوا معبودات المصريين و بنوا معابد وقلد ملوكهم الفراعنة أى أنهم تمصروا .

وقد وجد الباحثون آثارا لأحد ملوكهم واسمه خيان فى بغداد وفى كنوسس

فى كريد وليس معنى ذلك أن ملكه شمل جميع تلك الارجاء انما معناه انتشار نفوذه .

حرب الاستقلال ١٦٢٠ — ١٥٧٣ ق . م .

على الرغم من تمصر الهكسوس لم يرض المصريون عنهم ولم يغتفروا لهم ماأصابهم منهم أول الفتح . فنشأت حركة ترمى الى إجلاء الهكسوس عن البلاد بدأت هذه الحركة فى الجنوب وذلك لان الهكسوس لم يمكنهم اقامة حكمهم فيه فكانت أرض الصعيد جنوبى مدينة قفط تحت حكم امراء مصريين كانوا زعماء حرب الاستقلال

استمرت هذه الحرب نحوا من خمسين سنة وختمت باستيلاء الاميراحمس على منف واخراج الهكسوس من مصر

جلاء الهكسوس وقصة الخروج

جلا مع الهكسوس الاسيويون المقيمون فى مصر تحت ظلهم . وبعض المؤرخين يظن أن ذلك الجلاء أساس القصة الموجودة فى الكتب المقدسة عن اقامة بنى اسرائيل فى مصر وخروجهم منها مع موسى . وبعضهم يظن أن خروج الاسرائيليين أمر آخر لا علاقة له بجلاء الهكسوس وانه حدث فى عهد منفتاح ابن رمسيس الثانى .

تأسيس ملك مصر فى آسيا

دخل تاريخ مصر بعد استقلالها فى دور فتح عظيم .

وذلك أن حرب الاستقلال بعثت فى المصريين روحا حربية طوحت بهم وبملوكهم فى الفتح طلبا لزيادة التشفى من اعدائهم بعد أن تعلموا منهم فنون الحرب واخذوا عنهم استعمال الخيل والعجلات فى القتال ، فتعقبوهم الى مواطنهم الاولى فى آسيا .

الحالة فى غربى آسيا

وأمعن المصريون فى الفتح لما وجدوا الحالة فى آسيا مما يسهل عليهم تشييد ملك عظيم .

وذلك أن نفوذ الهكسوس الممتد من مصر الى غربى الفرات تقلص بعد هزيمتهم فى مصر . وكانت بابل اذ ذاك تحت حكم اسرة اجنبية . ولم تكن قد قامت بعد دولة الحيثيين التى ستصبح اكبر اعداء مصر

فسهل على خلفاء احمس التغلب على فلسطين وسوريا .

لم يكن ذلك التغلب أول عهد المصريين بفلسطين وسوريا ولكنه كان أول عهدهم بالأراضى الواقعة غربى الفرات . وكانت تلك الاراضى تحت حكم دويلات تتمتع برغد فى العيش ومن أشهرها دمشق وكانت اذ ذاك مركزاً تجارياً كبيراً وقد عرف المصريون تلك الأراضى جميعاً باسم نهرين لوقوعها بين نهرى الارنت غربا والفرات شرقا . وأقوى الأمم فى بلاد النهرين كانت أمة الميتانى .

الميتانى

المدن الفينيقية

وكان للفينيقيين اذ ذاك مدن ممتدة على ساحل البحر الابيض المتوسط وكانت اذ ذاك مستقلة .

الاسرة الثامنة عشرة وفتوحها تحتمس الاول

غزا تحتمس الاول بلادالنهرين وعاد الى طيبة مباهيا ببسعة فتحه و بوصوله حتى نهر الفرات الذى وصفه بأنه نيل منعكس أى يجرى من الشمال للجنوب ولكن سكان تلك البلاد لم يكونوا همجا كالنو بيين يسهل على الفراعنة ردعهم وزجرهم . فما رجع تحتمس الى مصر إلا وقاموا على حكم مصر وتحالفوا تحت زعامة أمير قادش احدى الأمارات . واتضح للفراعنة أنه لا يمكن حكم تلك الجهات الا اذا احتلوها بعساكرهم .

حكم حتشبسوت عصر السلام تحتمس الثالث

و بعد تحتمس الاول أهمل المصريون الفتح أيام خلفه تحتمس الثانى وكان ضعيفاً والملكة حتشبسوت وكانت مولية التجارة والبناء اهتمامها . وكانت حتشبسوت امرأة عظيمة الهمة . شاركها فى الحكم بعد تحتمس الثانى أخوها أو ابن أخيها تحتمس الثالث . ولكن اشتراكه كان اسمياً فقط فبقى خاملا طول حياتها . ولما ماتت قام بفتوح عظيمة جعلت له اسماً خالداً بين عظماء الفاتحين

وصفه حروبه

ولم يهمل تحتمس تخليد حروبه . فقد وصفها الكتاب بأمره على جدران معبد الكرنك . ويقول العارفون بان هذا الوصف مكتوب ببراعة ومهارة تستوقف النظر .

فتوح تحتمس الثالث

خرج تحتمس الثالث فى السنة الثانية والعشرين من حكمه (١) . وكان أعداؤه تحت قيادة أمير قادش عند مدينة مجدو وكان موقعهم حصيناً فقد كانوا

---

(١) بما فيها مدة اشتراكه مع حتشبسوت

شكل (١١) تحتمس الثالث فى صباه

على ربوة تلتقى عندها الطرق وتحول دون نزول المصريين على السهول غربى الفرات . ولكن تحتمس الثالث اجتاز الربوة دون أن يشعروا به وطوق معسكرهم وانتصر عليهم انتصاراً باهراً . ثم حاصر مجدو واستولى عليها وغنم منها غنائم نفيسة تدل على تمدن تلك البلاد وغناها . ومما يذكر له أنه لم يقس على أعدائه كما كان يفعل الفاتحون فى تلك الازمان .

أنزل ذلك الانتصار الرعب فى قلوب الاسيويين . فلم يجد تحتمس فى غزوته الثانية فى العام التالى مقاومة بل وجد تنافساً بين الاسيويين فى التزلف اليه والتقرب منه .

وتتابعت غزواته . وفى الغزوة الخامسة استولى على مدينة أرواد الواقعة على البحر وغنم منها غنما كبيراً .

وفى الغزوة السادسة كانت خطته جديدة . إذ نقل جيوشه بحراً الى المدن الفينيقية ومنها سار على قادش . والجديد فى تلك الخطة هو الجمع بين استعمال البحر والبر . وفى تلك الغزوة أيضاً ابتدأ سياسة جديدة هى ارسال أبناء الامراء المغلوبين الى مصر يتعلمون فيها وتشرب قلوبهم حب فرعون . وعند ما يتهون من ذلك يعينهم حكاما لبلادهم تحت سيادته .

وكلما ثار ثائر أسرع تحتمس الى تأديبه . وكان آخر غزواته الغزوة السابعة عشرة فى السنة الثانية والاربعين من حكمه وفيها أخضع قادش . وفيها أرسل ملك قبرص لفرعون هدية يبعد بها عنه غضبه . وبعدها دانت له رقاب الاسيويين فلم يقم بحرب أخرى

تنظيم الملك

كانت سياسته فى تنظيم الملك أن يترك الامراء الوطنيين فى اماراتهم ولكن بعد أن يعين معهم موظفين مصريين يجوبون خلال الملك يجمعون الجزية ويراقبون الوطنيين ويشيرون على أمرائهم بما يحسن بهم القيام به . وهؤلاء الموظفين تشد أزرهم حاميات مصرية تعسكر فى المواقع الحصينة .

وقد اتبع أيضا كما تقدم سياسة تمصير أبناء الامراء وقد نجحت هذه السياسة نجاحا باهرا فقد تعلق كثير منهم بمصر وحكمها . وعند ماضعف أمرها فيهم وهدد الحيثيون بالحلول محلها أسف الاسيويون على زوال ملك مصر واستغاثوا بفرعون مراراً .

عظم شأن تحتمس الثالث

علا ذكر تحتمس الثالث علواً كبيرا وشدا به الشادون وكتب فى مدحه الشعراء . وقد عثر الباحثون على قصيدة تخيل فيها الناظم المعبود آمون يخاطب تحتمس ويشيد بذكره .

امنحتب الثالث

وقد جنى خلفه امنحتب الثالث ثمار الجهد الذى بذله سلفه . فكان حكمه نعما تجلت فيه أبهة فرعون . وامتد ملكه ١٦٠ ميلا جنوبى وادى حلفا حيث بنى معبدا نعما عند صليب وعبده فيه النوبيون .

شكل (١٢) امنحتب الثالث

American Univ. in Cairo Library

ممتلكات مصر فى آسيا فى زمن امنحتب الثالث

الفصل السادس

الحضارة المصرية فى عهد الدولة الحديثة

آثار الفتوح

صارت طيبة مقر هذا الملك العظيم . وقد غيرت الفتوح الآراء السائدة حتى ذلك الوقت ، فعرف المصريون أن هناك أمماً كثيرة غيرهم وان العالم ليس مصر فقط ، وان ماحولها ليس أرضاً مجهولة تسكنها الشياطين. وأصبحوا يرون فى فرعون قائدهم الذى يسيرون الى النصر تحت لوائه .

سلطة فرعون

وكانت الادارة كلها فى يد فرعون يدير شؤونها بوساطة وزيرين احدهما للشمال ومقره منف والآخر للجنوب ومقره طيبة ، ولم يطلق ايديها فى مال الدولة بل جعل له موظفاً خاصاً .

ولم يسمح فراعنة الاسرة الثامنة عشرة للكهنة بالتدخل فى أمور السياسة إلا أنه عند ماخرج احدهم وهو اخناتون على معتقدات آبائه واغضب الشعب ذلك اضطر الفراعنة الذين أتوا بعد اخناتون الى استرضاء رجال الدين فزادوا فى امتيازاتهم .

ارتفاع شأن آمون

وقد أدت عظمة طيبة الى ارتفاع شأن معبودها آمون فأصبح معبود الملك كله .ولا بد أن يكون ذلك قد أثار شيئاً من الحسد فى نفوس كهنة المعبودات الأخرى، وعلى الاخص كهنة رع ، وربما أدى ذلك الى كيدهم لآمون والى قيام اخناتون بثورته الدينية .

فخامة الدولة الحديثة

تبودلت التجارة فى ملك مصر الواسع وزادت مصر فى الغنى والرفاهية بفضل اتساع التجارة واستتباب الأمن على يد ملوك اقوياء وموظفين شاعرين بأن عين فرعون ترقبهم و بفضل الغنائم التى غنموها فى آسيا والاموال التى جبوها من أهلها .

American Univ. in Cairo Library

طيبة فى عهد امنحتب الثالث

وقد تجلت تلك الفخامة فى حكم امنحتب الثالث الذى زاد فى جمال طيبة فشيد متنزها على ضفاف بحيرة فى البر الغربى و بنى معبدا هائلا هدمه منفتاح ابن رمسيس الثانى ولم يبق منه إلا التمثالان المعروفان بتمثالى ممنون

تمثالا ممنون

بدء الاضمحلال

ظهرت علامات الاضمحلال فى حكم امنحتب نفسه ور بما فسر الاضمحلال كثرة المال والانهماك فى الترف . والظاهر أن الحضارة القديمة كان يصيبها الاضمحلال اذا استنام الناس الى السلم . وليس معنى ذلك أن الحرب أمر ضرورى للعالم الحديث ، فالحضارة الحاضرة لا يعوزها الباعث القوى للعمل العقلى وغير العقلى فى ظلال السلم .

ومما عجل الاضمحلال وأدى الى تمزيق ذلك الملك العريض الثورة الدينية التى قام بها اخناتون .

اخناتون وثورته الدينية

كان اخناتون أو امنحتب الرابع ابن امنحتب الثالث وزوجته تى . ولم تكن تى هذه من أصل مصرى خالص فقد كان أبوها اسيويا . وكان اخناتون غريبا فى صفاته لم تر مصر قبله رجلا أكثر تغافلا عن كل مالا علاقة له بنزعات عقله أو اكثر اهمالا لواجبات الملوك . حتى لقد يعرض للانسان الشك فى استكماله قواه العقلية .

وفى السنة السادسة من حكمه لما لم يزد سنه على الخامسة عشرة نشر رأيه ببطلان المعبودات جميعها بما فيها آمون واعلن انه لا ينبغى أن تعبد الا القوة السماوية التى تمثل للناس فى الشمس وسماها اتون . وكان دينه هذا وحدانية خالصة .

ور بما كان لاصل أمه الأسيوى بعض التأثير فى رأى اخناتون الدينى . والثابت أن تقديس الشمس لم يكن أمراً جديداً . ومن المحتمل أن كهنة رع كانت لهم يد فى تشجيع هذا التقديس كيدا لكهنة آمون .

لم يكن لاخناتون من الحكمة السياسية ما يجعله متريثا فى أمر هام كأمر العبادات : فنشر رأيه فى البلاد و بعد أن كان اسمه الاول امنحتب اتخذ لنفسه

شكل (١٣) اخناتون (من رسم على حجر فى المتحف البريطانى)

اسم اخناتون وغادر طيبة مقر آمون وجعل عاصمته بالقرب من اسيوط حيث تل العمارنة الآن .

أثارت تلك الأعمال استياء عاما ، واغضبت الكهنة والعامة ، ونفرت رجال السياسة والحرب الذين قدروا وخامة العواقب ورأوا أن الملك الذى شادوه بدمائهم يلهو به مفتون على العرش .

ووصلت الاخبار الى آسيا وعلم الاسيويون اصدقاء مصر أن فرعون قد ابتدع بدعة دينية ، وأنه لزم مدينته الجديدة يتعبد فيها ولا يخرج منها للدفاع عن تراث آبائه .

ومما يدل على ما كان من شدة الشكيمة لملوك الدولة الحديثة أن الناس على الرغم من استيائهم لم يعصوا اخناتون جهاراً

آثار الثورة فى الادب والفن

كل ذلك واخناتون فى مدينته ينظم الشعر مسبحا لآتون . وقد حملت العصور الينا قصائده ووجد المؤرخون اتفاقا كبيراً بين تلك القصائد والشعر الدينى الاسرائيلى فى اللفظ والمعنى

وكان لثورته أيضاً أثر كبير فى الفن : فكما أن اخناتون نبذ القديم فى الدين وتوخى الحرية فى الاعتقاد كذلك رجال الفن فى عصره نبذوا القواعد القديمة وقصدوا الى رسم الاشياء كما هى ، حتى أنهم فى تصويرهم لاخناتون نفسه لم يحاولوا اخفاء عيوبه الخلقية ، كما يرى ذلك فى تمثال لاخناتون كشفوا عنه حديثاً .

الرجوع الى الدين القديم

اختلت الامور من جراء الثورة ، ولم تثبت دعائم الدين الجديد ، فما مات اخناتون فى السنة الثامنة عشرة من حكمه إلا وقد رجعت الحال الى ما كانت عليه . اذ ليس من السهل على أى حاكم ولو كان قوياً كفرعون أن يرغم شعباً بأسره على التخلى عن معتقدات آبائه ، حتى ولو حرم عليه ذكر المعبودات القديمة جهاراً .

توت عنخ آمون

لم يكن لاخناتون ولد يخلفه فتولى بعده زوج بنته توت عنخ آمون وكان من المتشيعين للدين الجديد ولكنه تحول الى عبادة آمون بعد توليه الملك . وقد انصرف هو ومن خلفه الى ازالة سوء الأثر الذى تركته ثورة اخناتون بارضاء الكهنة بكل وسيلة . وقد اكسبهم ذلك فيما بعد نفوذاً سياسياً لم يكن لهم فى الايام الأولى للدولة الحديثة .

وقد طبقت شهرة توت عنخ آمون الآفاق بعد فتح قبره فى أيامنا هذه والعثور على نفائس كثيرة فيه . ولكن لا سبيل الآن للحكم عما اذا كانت الفائدة التى يستفيدها علم التاريخ تتناسب مع الاهتمام الشديد الذى أثاره العثور على قبر توت عنخ آمون .

الاسرة التاسعة عشرة

أسسها رمسيس الأول والظاهر أنها كانت من الشمال ولكنها حكمت فى طيبة .

سيتى الاول

ومن ملوكها المهمين « سيتى » وقد أراد اعادة ما فقدته مصر من أملاكها الاسيوية أيام اخناتون ، فأوقعه ذلك فى حروب مع الحيثيين وهم قوم من آسيا الصغرى نشروا دولتهم جنوبيها نحو فلسطين . و بتلك الحروب بدأ ملك مصر فى آسيا للمرة الثانية . وبها أيضاً اضطر ملوك الاسرة الى الاقامة فى الدلتا مع تشييد العمائر فى طيبة وغيرها من مدن الصعيد . فكأننا نرى فى ذلك عوداً لانقسام مصر قسمين عظيمين ، يستتر هذا الانقسام فى أوقات القوة و ينكشف عند الضعف .

رمسيس الثانى

حكم بعد سيتى وكان اذ ذاك فى الثامنة عشرة وقد طال حكمه كثيراً . والظاهر أن هذا الطول أدى الى اكتساب رمسيس شهرة كبيرة . واذا قرناه بتحتمس الثالث أو امنحتب الثالث نجد أن تلك الشهرة أكبر مما يستحق . والثابت أنه عمل على تمجيد نفسه بكل الوسائل . فبنى معبداً كبيراً هو الرامسيوم وهو معبد هائل لا يدل على شى من سلامة الذوق ووصف على جدرانه حروبه مع الحيثيين .

الحروب الحيثية

بدأت هذه الحروب فى السنة الخامسة من حكمه فى عام ١٢٩٦ واستمرت خمسة عشر عاما استنفدت فيها قوى مصر وسببت ضعفها .

مصر آخر أيام الدولة الحديثة

فكانت عظمة مصر ظاهرية فقط ، صحبها اضمحلال فى الفن وازدياد فى هجرة الاجانب اليها واعتماد عليهم من يونان واسيويين وليبيين فى الحرب . ودخلت اللغة كلمات أجنبية وساد الكهنة حتى صار منهم فراعنة .

American Univ. in Cairo Library

الفصل السابع

الحيثيون ومصر

الحيثيون فى آسيا الصغرى

آسيا الصغرى أرض مستطيلة الشكل تتصل بآسيا فى جنوبيها الشرقى ويحيط البحر بها من ثلاث جهات . وهى هضبة مرتفعة تطوقها سلاسل من الجبال المرتفعة وتحف بالجبال سهول ضيقة على سواحل البحار . وفى الجزء الشمالى الغربى ممر قطعه الماء الجارى يصل بين البحر وقلب الهضبة . ومنه دخلها المغيرون من أوربا وفيه تسير الآن سكة حديد بغداد

معظم الهضبة صالح للرعى والزرع والجبال موفورة المعادن . وهى أيضاً سد يحول دون التوغل فى الهضبة (فيما عدا الجزء الشمالى الغربى) . فموارد آسيا الصغرى اذن تكفل قيام دولة مستقلة .

وقد كشفوا فى الايام الاخيرة عن آثار بمدينة بوغاز كوى تدل على وجود دولة كبيرة بآسيا الصغرى ، دولة اختلط تاريخها بتاريخ مصر والشرق القديم هى دولة الحيثيين

والحيثيون من الجنس الالبى يظنون أنهم يشبهون الارمن الحالين رعاة يميلون للقتال . وكانوا فى أول أمرهم قبائل متحالفة تحت زعامة ملك يقيم فى بوغاز كوى

وقد أخذت تلك القبائل تغير على بلاد النهرين ، ثم أخذت تحاول فتح تلك البلاد فتحا منظما . ومن ثم اشتبكت بمصر وبالشرق القديم .

الموقف بعد موت امنحتب الثالث

استفاد الحيثيون من الاختلال الذى اثارته ثورة اخناتون فانقضوا على بلاد الميتانى ، وقد تقدم أنهم كانوا يقيمون غربى الفرات ، ففقدت مصر من جراء ذلك ملكها فى سوريا وفينيقيا وتمكن بنو اسرائيل من الاستقلال فى فلسطين وكان فى ذلك تمهيد لملكهم بها بعد .

وعقد حور محب الذى خلف تون عنخ آمون على العرش مع ملك الحيثيين معاهدة اعترف فيها بما حدث أى بامتلاك الحيثيين لبلاد النهرين و بامتلاك مصر لفينيقيا وفلسطين ان تمكنت من اخضاع أهلها لها.

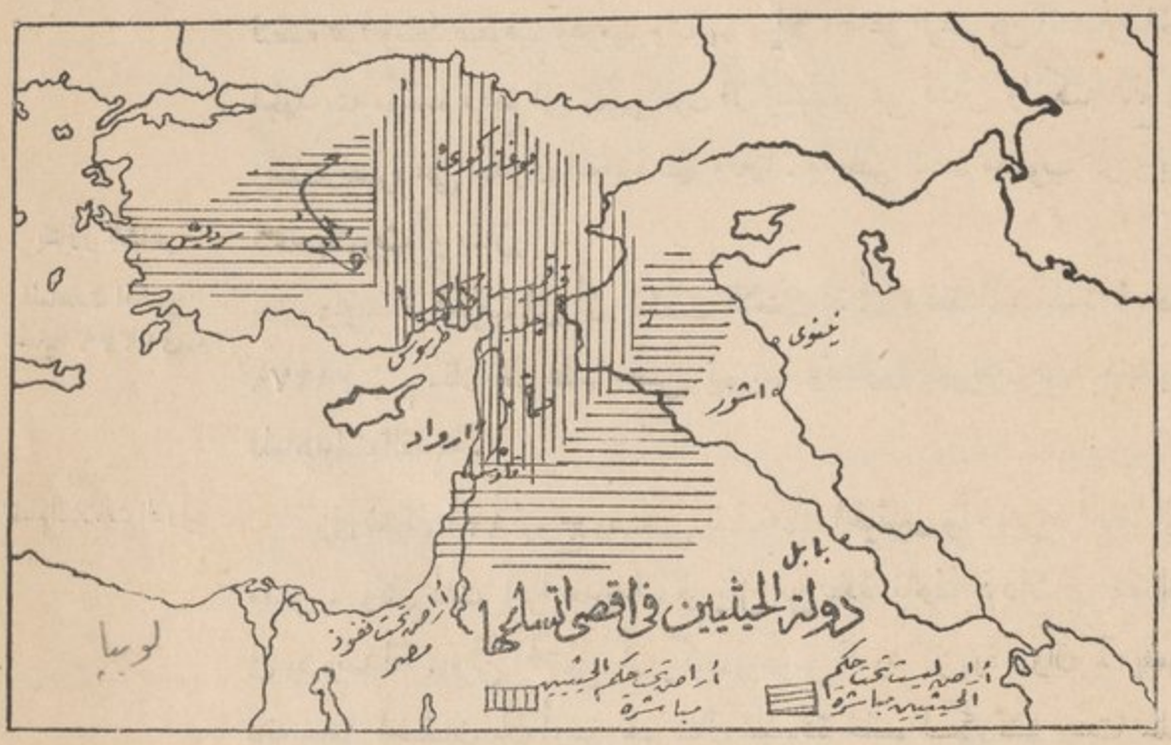

الحالة أيام سيتى الاول

نجح « سيتى » فى ذلك الاخضاع و بذلك التصقت الاملاك المصرية بالاملاك الحيثية وتقاتل المصريون والحيثيون . انتصر المصريون وعقدوا مع خصومهم معاهدة على نمط المعاهدة الاولى

رمسيس الثانى

ولما تولى رمسيس نقض تلك المعاهدة . ولا عجب فى ذلك فانه كان شابا يغلب عليه الزهو و بدأت الحروب

عبأ رمسيس جيوشه تعبئة جديدة فجعلها اربع كتائب سمى كل واحدة منها باسم معبود من أربعة : آمون ورع و بتاح وست .

وكان المصريون أقل عددا من الحيثيين ولكنهم كانوا أوفر نظاما . وكان ملكهم قمى فى عنفوان القوة على حين كان ملك الحيثيين شيخا أضناه الحكم قائدا محنكا ولكن تعوزه حدة الشباب والاقدام .

أغار رمسيس على سوريا . وقد تمكن الحيثيون أول الحرب من القيام بخدعة حربية . فأوهموا رمسيس أنهم بالقرب من حلب فتقدم بلا حيطة نحو قادش فدهموه ولم يكونوا قد ذهبوا بعيدا وحالوا بينه وبين معسكره . فشق لنفسه ممرا وسط صفوفهم وهزمهم وشتتهم . إلا أنه على الرغم من انتصاره اخذ الجهد منه مأخذه فرجع الى مصر دون أن يستولى على قادش ولكنه بالغ فى وصف نصره على جدران المعابد نظما ونثرا . ومعظم النظم منسوب الى رجل اسمه بنتورت أو بنتاؤر

بنتاؤر الشاعر

وتجددت الحرب الى أن سئمت الامتان القتال . فعقدتا معاهدة فى عام ١٢٧٩ ق . م . نلاحظ عليها حسن تبويبها وتساوى الفريقين فيها وتجديد المعاهدات القديمة .

المعاهدة المصرية الحيثية ١٢٧٩ ق.م

وفى سنة ١٢٦٦ تزوج رمسيس بنت ملك الحيثيين وأحضرها أبوها الى مصر . وكان ذلك أمرا جديدا . فلم يكن من عادة الملوك اذ ذاك ان يتقابلوا فى ود وصداقة . ومن المحتمل أن يكون رمسيس قد رد الزيارة . وان لم يفعل فانه جامل الحيثيين بأن أرسل لهم تمثال المعبودة خنسو لكى تشفى بنت الملك من داء ألم بها . وقد أرسلت بابل طبيبا وساحرا للمساعدة فى ذلك . ذلك كله يدل على حصول أولئك الاقوام على جانب كبير من التمدين وعلى توثق العلاقات الدولية اذ ذاك

تقدم العلاقات الدولية

مات رمسيس عام ١٢٣٤ بعد حكم طويل وتولى ابنه منفتاح وقد جاوز سن الشباب .

موت رمسيس ١٢٣٤ ق . م . وتولى منفتاح

وفى ايامه خرج عن طاعته اهل فلسطين فغزاهم وبالغ فى تأديبهم ولكن كانت علاقاته بالحيثيين ودية فعند ما اجتاحت بلادهم مجاعة أرسل لهم من مصر غلالا .

وفى عهده أيضا اغار على الدلتا الليبيون وأقوام مختلفة من جزر البحر الابيض المتوسط وسواحله ولكنه صدهم وأجلاهم .

الاسر ذالعشرون رمسيس الثالث

ولكنهم أعادوا الكرة مرتين فى عهد خلفه رمسيس الثالث من ملوك الاسرة العشرين . وقد هزمهم فرعون هزيمة ساحقة فى البر والبحر . وقد سكن اقوام منهم بعد الهزيمة غربى فلسطين وهم الفلسطينيون ومن اسمهم اخذت فلسطين اسمها .

زوال ملك الحيثيين

ولم تكن هذه الاغارات مقصورة على مصر بل شملت بلاد الحيثيين وسببت تمزيق ملكهم وقد قضى الاشوريون بعد على ماتبقى منه عام ١١٠٧ ق . م .

سياسة رمسيس الثالث الداخلية

قلد رمسيسُ الثالثُ رمسيسَ الثانى فى كل شىء . ولم يكن ذلك عن غرور أو ضيق عقل . انما كان قصده أن يبعث فى المصريين ذكرى انتصارهم الحربى ويوقظ امانيهم واتجهت سياسته أيضا الى تنمية موارد الثروة والبناء .

اضمحلال مصر

ولم تنجح هذه السياسة الا نجاحا مؤقتا ، فالأمم لايكفيها البكاء على ماضيها ولا تنفعها ذكرى الملك العريض اذا أعوزتها الصفات التى فى اجدادها

فراغنة من الكهنة

وكان خلفاء رمسيس ضعافا ، يلعب بهم الكهنة ، واستفحل أمر هؤلاء الى أن استقلوا بالملك ، ولم يقف الفراعنة منهم موقفاً مشرفاً ، فقد بلغ من ضعفهم أن حاولوا نيل الحظوة لدى الاشوريين بتقديم الهدايا ، كأن مصر قبرص أو كريد تتزلف الى تحتمس الثالث .

American Univ. in Cairo Library

الفصل الثامن

مصر فى أيدى الاسيويين

فقدت مصر أيام ملوكها الكهنة النوبة وطورسيناء وفلسطين ولم يبق الا وادى النيل بين البحر واسوان يتنازعه الاجانب . ولبس تاجه ملوك من الليبيين والنوبيين .

الملوك الليبيون ٩٤٥ - ٧١٢ ق . م

كان مقر الملوك الليبيين مدينة بسطة فى الدلتا وأشهرهم شيشنق الذى كانت له صلات بسليمان ملك فلسطين . وفى أيام الليبيين ظهرت قوة الاشوريين فى آسيا

الملوك النوبيون ٧٢٢ - ٦٦١ ق . م

قبل وصف اغارة النوبيين على مصر يجدر بنا فهم حالتهم فى بلادهم .

تمصرت النوبة تحت حكم الفراعنة تمصرا يكاد يكون تاما وقامت فيها العبادات المصرية . وصار لكهنة آمون فيها نفوذ كبير وعلى الأخص فى الاقليم الخصب بين الشلالين الثالث والرابع (مديرية دنقلة) ومركزهم هناك مدينة نباطى واستقلوا به وصاروا يقيمون هناك ملوكا . ثم علموا اولئك الملوك أن ملكهم يجب أن لا يقتصر على النوبة بل يجب أن يمتد شمالا حتى سيوط .

بعنجى

وكان من أثر ذلك ان غزا بعنجى مصر وتم له فتحها وتقلد عرشها . وكان بعنجى فاتحا رحيما يجرى فى عروقه دم الفراعنة ويخطىء من يرى فى اغارة النوبيين تغلب الزنوج الافريقيين على مصر فالنوبة بلاد مصرية من قديم الزمان .

الاشوريون ومصر

وفى أيام الملوك النوبيين تغلب آسرحدون ملك الاشوريين على الدلتا سنة ٦٧٠ ق . م وتنازع مصر الأشوريون والنوبيون الى أن قام أمير مصرى اسمه بسماتيك فى مدينة سايس فى غربى الدلتا ونجح بالاستعانة بجنود مرتزقة من الاغريق فى الاستقلال بمصر وكان ذلك عام ٦٥٢ ق . م .

بسماتيك والنهضة المصرية

وقد اعتمد على الاغريق وشجعهم على الاستيطان فى البلاد وعمل على تنمية الزراعة والصناعة .

وقد بدأت مصر أيامه تحيا بعض الشيء ويسمى المؤرخون ذلك الدور من تاريخها بعصر النهضة المصرية .

ولم تكن تلك النهضة الا محاكاة المصريين لحضارتهم الاولى وتقليدهم الفنون والآداب الأولى والمبالغة فى ذلك حتى أعادوا كل شيء كما كان عليه ولم ينسوا أتفه الاشياء . ويجب أن لا يغرب عن البال أن مصر بذلك لم تستعد شبابها الأول بل كانت كالرجل الهرم يقلد الشاب فى هيئته ويخفى أثر الكبر فيه بالدهان

نهضة فارس والاغريق

انما كانت النهضة الحقيقية إذ ذاك نهضة الفرس والاغريق . فتغلب الأول على دول الشرق القديم وانتشر الآخرون فى البحر الابيض المتوسط ثم تصادم الشعبان وتنازعا السيطرة كما سيفصل بعد

ملوك النهضة المصرية نخاو

خلف بسماتيك الأول ابنه نخاو ، وقد شجعه سقوط الاشوريين (سنة ٦١٢ ق . م) على الاغارة على فلسطين ولكن لم يلبث أن طرده عنها البابليون . وقد اهتم بالتجارة فكانت له سفن فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر ، وحاول توصيلهما بقناة . ويقال إنه هلك فى ذلك نحو ١٢٠٠٠٠ عامل . ولما تنبأ متنبيء بان القناة لن تنفع إلا الاجانب أقلع عن فتحها . وقد قال ديودور بأنه عدل عن فكرته لما عرّفوه أن البحر الاحمر مرتفع عن البحر الابيض المتوسط وأن فتح القناة قد يغرق الدلتا . وقد ظل هذا الرأى الفاسد حتى القرن التاسع عشر

ويقال إن بعض ملاحى نخاو ساحوا حول سواحل افريقية كلها

ابريس احمس

ومن ملوك هذه الاسرة أيضاً ابريس وقد ثار عليه المصريون لما رأوا من شدة ميله للاجانب ، وتولى مكانه قائد جنده احمس أو اماسيس

نوقراطيس

ولم يكن احمس هذا بأقل تحيزاً للاغريق فأسسوا فى أيامه مدينة نوقراطيس بالقرب من فرع النيل الغربى وكانت مدينة اغريقية صرفة يتبادلون فيها حاصلات بلادهم ويصنعون بها الصناعات الاغريقية ، وبها معابد اغريقية

American Univ. in Cairo Library

وكانوا مستقلين فى حكمها مرتبطين بالحكومات الاغريقية فى كل شىء حتى أن دار الحكم فى نوقراطيس شيدت على نفقة الحكومات الاغريقية (١)

وربما كان الدافع لاحمس على اتباع هذه السياسة رغبته فى تشجيع التجارة . والثابت أنه كان شديد الخوف من الفرس الذين امتلكوا غربى آسما وقضوا على الدول القديمة به فظن أنه قد يجد فى الاغريق حلفاء يمنعون الفرس عنه

تغلب الفرس على مصر ٥٢٥ ق.م

وقد وقع ما كان يخافه احمس فى عهد خلفه بسماتيك الثالث وذلك أن قمبيز غزا مصر عام ٥٢٥ ق . م . وتغلب عليها .

وصارت مصر جزءاً من الدولة الفارسية ولم تستعد استقلالها الا أيام البطالسة .

(١) تشبه نوقراطيس فى الوقت الحاضر الاحياء التى يسكنها الاجانب فى بعض المدن الصينية مثل شنغاى

American Univ. in Cairo Library

الفصل التاسع

أرض بابل وأشور

بابل دولة قديمة قامت فى الارض بين الفرات والدجلة

الفرات

يجرى الفرات فى ثلاث مناطق : الأولى أرض جبلية، والثانية سهل لا شجر فيه ، والثالثة تنتهى عند الخليج الفارسى وتتكون من رواسب النهر .

الدجلة

ويمر الدجلة أيضاً فى ثلاث مناطق كمناطق الفرات . وقد سكن الاشوريون فى الجزء الجبلى من مجراه . وفى خط عرض بغداد يقترب الدجلة من الفرات فلا تزيد المسافة بينهما على خمسة وثلاثين ميلا ثم يبتعدان

ويفيض الفرات والدجلة بغتة عند ما يذوب الجليد فى الجبال (بين شهرى مارس ومايو) ويرتفع النهران ارتفاعاً كبيراً يجرف السدود التى يقيمها الناس لحماية الأرض . هذا الى انهما يجلبان كمية كبيرة من الطين ويرتفع اسفلهما ارتفاعاً سريعاً وترسب منهما رواسب سميكة فكان مصباهما أيام الاسكندر الاكبر يبعد احدهما عن الآخر والآن يلتقيان عند البصرة على بعد ٣٠٠ ميل من البحر . كل ذلك جعل مسائل الرى فى أراضى بابل أدق منها فى مصر كثيراً

الارض غربى الفرات

والارض غربى الفرات إما مراعى وإما صحارى جرداء متصلة بصحارى شبه جزيرة العرب، وكان لأهلها تأثير كبير فى تاريخ البلاد الزراعية القريبة منها .

الارض شرقى الدجلة

والارض شرقى الدلتا جبلية مرتفعة متصلة بهضبة ايران وهى عبارة عن سلاسل من الجبال وفيها وديان تصلح لسكنى الانسان ولكنها منعزل بعضها عن بعض ، وفيها أيضاً بحيرات كبيرة مثل فان وارميا فى الشمال وشيراز فى الجنوب وفى بعض تلك الوديان نشأ الفرس والميديون

الارض شرقى الخليج الفارسى - بلاد عيلام

وترتفع الارض شرقى الخليج الفارسى ارتفاعاً كبيراً وتصد الرياح وتهطل

على سفوحها الامطار فصارت أرضا كثيرة الغابات ، وصارت يطمح فى امتلاكها أهل السهول القليلة الشجر ، وهذه هى بلاد عيلام

موازنة بين مصر وبابل

(١) اختلاف اتجاه الانهار : ينبع النيل فى الجنوب ويتجه شمالا فصار الجزء الشمالى من واديه (مصر) فى منطقة مناخها معتدل . وخلا ذلك الجزء أيضا من الجنادل فيسير الماء هادئا بين اسوان والبحر ، ثم لا يحمل الى ذلك الجزء الشمالى من مجراه إلا ماخف من الطين الذى لا يعوق الملاحة . على عكس الفرات الذى يصل الى الدلتا ولم تكن قد رسبت منه الرواسب الثقيلة بعد فتعوق الملاحة عند الدلتا وتسبب طغيان الماء على الارض .

تكثر لذلك فى خرافات البابليين قصص لطوفان عظيم خرب العالم كله ، وبينما المصريون القدماء يتخيلون الشر ظلاماً وبرداً كان البابليون يرمزون له بحيوان مخيف يرسل الماء مدراراً .

(٢) قامت المدنية المصرية فى الوادى والبابلية والاشورية فى الدلتا .

(٣) اقتراب المدن البابلية بعضها من بعض وتباعد المدن المصرية ممتدة على طول النهر كله

(٤) بابل بلاد لا احجار فيها على عكس مصر تماما . وكان لهذا أثر بين فى حضارتها ، فالطين ولو جفف تماما لا يصلح لعمل التماثيل ولا يمكن الرسم عليه . فالفن البابلى اعوزته حينئذ المادة التى عرف المصريون والاغريق كيف يخلدون بها فنهم

وقد استعمل البابليون الطين المجفف استعمالا غير مألوف ، فقد كانوا يكتبون عليه

(٥) وبابل أيضا اقل من مصر مناعة ، فتسكن الصحارى غربيها قبائل البدو الرعاة يدفعهم فقرهم نحو الاراضى الزراعية

أما أساس الحضارة فى الدولتين فهو واحد وهو خصب الارض وتهيؤ الفراغ اللازم للابتكار والتفكير ، ونتوقف الحضارة فى كلتيهما على حسن تدبير الرى وعدم الافراط أو التفريط فى استعمال الماء

علاقات بابل الخارجية

اثرت فى تاريخ بابل علاقاتها بالبدو و بسكان عيلام وبالاشوريين

أما عن البدو فقد كانت طبيعة بلادهم هى الدافعة لهم على الاغارات أو على التجارة

ونقل التجارة مهنة قديمة جداً فى الصحارى اذ الصحارى تشبه البحار فى كونها تصل بين اقاليم مختلفة، وكما تقوم المدن التجارية على سواحل البحار فانها تقوم أيضا عند اتصال الصحارى بالاقاليم الزراعية والصناعية أو فى الواحات مثال ذلك دمشق وبخارى و بربر

وقد أثر البدو سكان الصحارى بالغزو والاغارات فى تاريخ البابليين تأثيراً كبيراً فجعلوا لغتهم سامية مثلا

أما عن الاشوريين فقد نشأت دولتهم فى الجزء الجبلى من نهر دجلة وهو جزء متسع تكثر فيه النهيرات ، ويقع على بعد من بابل فتمكن الاشوريون من انشاء دولتهم بلا تدخل منها ، ولكن لم يكن ذلك البعد بكاف لمنع الاشوريين من تهديد بابل عند ضعفها

American Univ. in Cairo Library

الفصل العاشر

بابـــــــل

مر تاريخ الحضارة البابلية فى أربعة أدوار متميزة :

الدور الاول ٣٠٠٠ ـ ٢٢٠٠ ق.م.

يعاصر هـذا الدور عهد بناة الاهرام فى مصر وينتهى عندما أسس حمورابى ملك بابل فى عام ٢١٠٠ ق . م

وفى ذلك الدور لم تكن الارض خاضعة لملك واحد بل كانت فيها مدن مستقلة بعضها عن بعض كثيرة التقاتل. ويعرف هذا العهد بعهد المدنية السومرية

المدنية السومرية

من سومر وهو اسم يطلق على جزء كبير من تلك البلاد

وليس للمؤرخين علم يقين بجنس السومريين . والظاهر أنهم كانوا بيض الالوان جففوا المستنقعات و بنوا المدن وعرفوا طرق الرى والزراعة ورعوا الغنم والماعز . وربما كانوا أول من استعمل العجلات تجرها الحمير للنقل . وكانوا كالمصريين إذ ذاك يعرفون الخيل؟ ولهم خبرة باستعمال المعادن وصنع الاوانى النحاسية وربما وصل العلم بها اليهم من وادى النيل

الزراعة

الكتابة

كانوا يكتبون بآلة حادة على الطين قبل تجفيفه فصارت كتابتهم تعرف بالخط المسمارى وقد تقدم وصف الطريقة التى بها فـكت رموزها .

الشهور

وكانوا يحسبون السنة مكونة من اثنى عشر شهرا قمريا . وقد تعلم ذلك عنهم الاسرائيليون والفرس .

نيبور

وقد اتخذوا مدينة نيبور مركز عبادتهم و بنوا فيها معبدا كبيراً يزعم بعض المؤرخين أنه برج بابل المشهور فى الاساطير. وقد كشف العلماء عن آثار نيبور عام ١٨٨٩ وزاد علمهم بتاريخ السومريين بذلك زيادة كبيرة

الاكاديون

وحول عام ٣٠٠٠ ق. م نزل فى أرض اكاد شمالى سومر البدو السا كنون غربى الفرات وقام بينهم و بين السومريين كفاح شديد انتهى بانتصار

سرجون الاول

الاكاديين على يد قائدهم سرجون وكان ذلك حول عام ٢٧٥٠ ق. م ثم كون سرجون من فتوحه ملكا واحداً وحكم خلفاؤه الى عام ٢٢٠٠ ق م. واختلط الشعبان وصارا شعبا واحدا متحضرا بحضارة واحدة ، ونشأ بينهم أدب من أشهر ما فيه قصة الطوفان

الدور الثانى ٢٢٠٠-١٣٠٠ ق.م.

ثم ضعف هؤلاء الملوك — ملوك سومر واكاد — ودخلت بلادهم تحت حكم أهل عيلام الساكنين شرقى الخليج الفارسى ، وتلت ذلك اغارة جديدة من البدو غربى الفرات استولوا فيها على مدينة بابل نفسها ولم تكن اذ ذاك الا مدينة صغيرة خاملة . وقد تم ذلك حول عام ٢٢٠٠ ق. م.

حمورابى مؤسس ملك بابل

وقام فى بابل ملك اكتسب فى التاريخ شهرة هو حمورابى

هزم حمورابى أهل عيلام وملك محلهم عام ٢١٠٠ ق . م

رسائل حمورابى

وقد أسعد الحظ المؤرخين فعثروا على خمس وخمسين رسالة لحمورابى قرأوا فيها ما يدل على شدة اهتمامه بملكه من تدقيق فى جمع الاموال فى أوقاتها ونظر فى أمور المعابد وهكذا

قوانينه

وعثروا له أيضاً على القوانين التى سنها لحكم الدولة وهى أقدم ماوصل الينا من تشريع المشرعين . والظاهر أن حمورابى جمع القوانين والعادات المعمول بها فى وقته وأضاف اليها من عنده وسطرها جميعاً على لوح من الحجر ، وفوقها رسم نفسه يتسلم القوانين من الشمس التى كانوا يعبدونها . وقد وجد هذا اللوح فى معبد قديم

التجارة

وكان لحمورابى جيش ضرب به على أيدى العابثين بالأمن وأخلد الناس للعمل فانتشرت فى ظل النظام تجارة بابل وتعلم الناس فى غربى آسيا الخط المسمارى من التجار البابليين

التعليم

وعنى أيضاً بالتعليم وعلى وجه خاص باعداد الموظفين ؛ وقد كشف العلماء فى سنة ١٨٩٤ عن آثار مدرسة وعثروا فيها على ألواح التلاميذ . والظاهر أن البابليين كانوا يقدرون جودة الانشاء ، فكانوا يلقنون التلاميذ ان الانشاء الجيد يضىء كالشمس

ولكن لم يكشف العلماء بعد عن آثار فنية لعصر حمورابى

American Univ. in Cairo Library

شكل (١٤) لوح قوانين حمورابى

الدور الثالث
١٣٠٠ - ٦٠٦ ق . م
ملك اشور

وفى الدور الثالث ظهرت اشور . وقد أقامها البدو فى الأصل حول عام ٣٠٠٠ ق . م . وتعلم الاشوريون من السومريين خطهم وعناصر حضارتهم .

بدء تاريخ الاشوريين

وقد ظل الاشوريون خاضعين لحكم بابل ، ولكنهم كانوا أمة حربية

اتقنت فن الحرب ومارسته ضد جيرانها الحيثيين والفينيقين الذين كانوا إذ ذاك يحاولون انتزاع ملك مصر فى آسيا .

بنو اسرائيل والآراميون

مدنية الآراميين

وجد الاشوريون حائلا دون تقدمهم فى استيطان بنى اسرائيل والاراميين فى فلسطين وسوريا حول عام ٤٠٠ ق. م. وكان للآراميين حضارة تفوق ما كان للاشوريين إذ ذاك. كانوا تجارا تعلموا الحروف الهجائية الفينيقية ونشروها فى آسيا فحلت بذلك محل الخط المسمارى ، وكانت دمشق مقر حكمهم .

الخلاصة ان الآراميين تركوا أثراً كبيرا فى تاريخ العالم ، أكبر كثيراً من أثر الاشوريين فيه ، فالاشوريون لم يكن مجدهم إلا حربياً محضا .

استيلاء الاشوريين على دمشق عام ٧٣٢ ق . م .

وفى القرن الثامن قبل الميلاد أخذ الاشوريون يقيمون صرح ذلك المجد الحربى ، فاستولوا على دمشق عام ٧٣٢ وصاروا أقوى دولة فى أرض الفرات .

سرجون الثانى وسنخاريب

وذلك بفضل ملك عظيم هو سرجون الثانى (٧٢٢ — ٧٠٥ ق. م.) وابنه الاعظم منه سنخاريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق. م.)

استيلاؤه على بابل

وأخيراً استولى سنخاريب على بابل وهدمها وأجرى الماء فوقها . وكان رجلا غليظا اذا فتح بلدا أثقل كاهل أهله بالضرائب وكانوا اذا ثاروا أخمد ثورتهم بغلظة كبيرة .

تأسيس نينوى

وأسس نينوى واتخذها عاصمة ملكه و بنى لنفسه قصراً فخما . وكان ملكه عظيما ، نظم به البريد كى يتم اتصاله بعماله فى الأقاليم النائية .

الاغارة على مصر

واغار سنخاريب على مصر ، ولكن تم فتحها بعده على يد اشور بانيبال

الجيش الاشورى

وكان الجيش الاشورى يتكون من مشاة مسلحين بالسهام والحراب ومن فرسان وعجلات حربية ، واكتسب شهرة هائلة فى الشرق القديم ، اذ به دوخ الملوكُ الأشوريون الدولَ القديمة وجمعوا نفائسها لتزيين قصورهم. واشتهر العسكر الاشوريون بالقسوة فى معاملة أعدائهم : فكانوا يسلخون الأسرى وهم أحياء ، ويقطعون رؤوسهم على ملأ من الناس . وفى كتب أنبياء بنى اسرائيل وصف لكل ذلك .

دولة الأشوريين فى أقصى اتساعها (عهد اشور بانيبال)

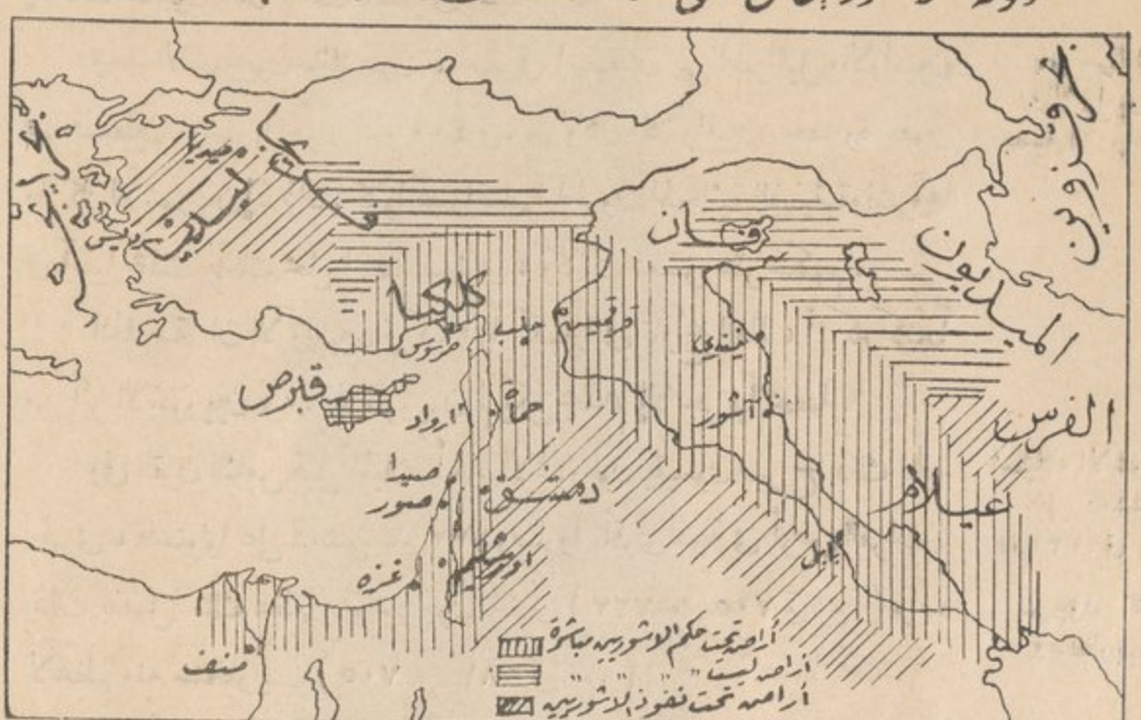

مكتبة اشور بانيبال

وقد جنح اشور بانيبال الى السلم بعض الشىء ، فترك مكتبة عظيمة ، فى المتحف البريطانى الآن ٢٢٠٠٠ لوح من محتوياتها ، وموضوعاتها دينية وعلمية وأدبية .

اضمحلال الاشوريين سقوط نينوى ٦٠٦ ق . م .

ثم اضمحلت دولة اشور واتحد عليها البابليون والميديون والفرس واستولوا على نينوى عام ٦٠٦ ق . م : ودالت دولتهم ولم تبق الا اطلال حضارتهم .

وقد تنفس أهل الشرق القديم الصعداء . وقد وصف أحد أنبياء بنى اسرائيل ناحوم فرح الناس بسقوط عدوتهم جميعاً فقال « ويل لمدينة الدماء ! عيدوا يابنى اسرائيل أعيادكم .. تعست رعاتك ياملك اشور . . تشتت شعبك على الجبال . . ليس جبر لانكسارك . جرحك عديم الشفاء . »

اسباب سقوط الاشوريين

واتخذ الوعاظ من سقوطها عبرة . الا أن أسباب السقوط واضحة . فنشاط الملوك فى الفتح قصم ظهر الامة وافنى الصناع وأجهد الدولة . ثم حكمهم لامم نائية مختلفة عنهم كمصر استلزم جهدا كبيراً .

ولو كان الملوك أقل رغبة فى الفتح لانصرف الاشوريون الى تأسيس مجد غير حربى ، فالاشوريون شعب عظيم وقد برعوا فى صناعة التماثيل واتقنوا تمثيل الحيوان على الاخص .

شكل (١٥) مثال من رسم الحيوان

الدور الرابع
٦٢٥ — ٥٣٩

وبعد سقوط نينوى ورث الحلفاء ملكها فاستولت بابل على سوريا والاجزاء الغربية من دولة الاشوريين ، واستولى الميديون على الاجزاء الشمالية والشرقية .

دولة الكلدانيين

عظمت بابل مرة أخرى وتعرف الدولة الجديدة فيها بالدولة الكلدانية ومؤسسها نابو بولاسار . وخلفه ابنه نابوخدناصر الثانى (٦٠٥ ـ ٥٦١) . وهو الذى استولى على ارشليم عام ٥٨٦ ق. م. واقتاد بنى اسرائيل أسرى الى بلاده .

استيلاء نابوخدناصر على اورشليم ٥٨٦ق.م

وبنى قصرا هائلا وجعل فيه حدائق على عمد يعتبرونها من عجائب العالم السبع . وبنى معابد وصارت بابل فى أيامه مدينة عظيمة

American Univ. in Cairo Library

ولكن تلك العظمة لم تدم ، فالفرس حلفاء الكلدانيين صاروا عظيمى القوة وأخيراً فتح كورش مَلِكُهُم بابل فى عام ٥٣٩ ق. م.

كورش يستولى على بابل

والفرس قوم يتكلمون لغة آرية وهم أول الآريين ظهورا فى التاريخ .

الحضارة الكلدانية

وكان للكلدانيين ولع بالفلك والنجوم فوصفوا الابراج السماوية و بلغ من درايتهم أن تمكنوا من التنبؤ بأوقات الكسوف .

ويتوقع العلماء أن البحوث فى اطلال بابل التى لم تبدأ إلا فى عام ١٨٩٩ ستكشف عن آثار يرجع عهدها لحمورابى .

الفصل الحادى عشر

بنو اسرائيل

وصف فلسطين

فلسطين موطن أمة لم تترك رسوما وتماثيل ومعابد ضخمة ولكنها تركت دينا وآدابا ، وأثرت بذلك فى تاريخ الحضارة أثراً لا يقل عن اثر الاغريق . أمة كانت أول من عرف عقيدة الوحدانية السامية وعبدت الله ولم تتخذ له من الاوثان زلفى .

تلك هى أمة بنى اسرائيل نشأت فى الصحراء ثم سكنت فلسطين وهى أرض مكونة من هضبة ووديان تتنوع فيها الحاصلات ، فالمسطحات على الهضبة تصلح للرعى والوديان تنبت الكرم والقمح والزيتون وفى الأغوار تلتف الاشجار

وقرب البحر تشرف الهضبة وهى هناك جرداء على الساحل . وفى هذا الساحل سكن الفلسطينيون وقد تقدم ذكر قدومهم هناك(١) وفى الشمال يضيق الساحل ويكثر خصبه ، وفى الجنوب يتسع ويقل خصبه ويمتد نحو طورسيناء ويمر فيه الطريق بين مصر وبلاد الشرق القديم .

نزح بنو اسرائيل من الصحارى الى فلسطين ، فاحتاجوا الى تغيير نظامهم الاجتماعى الذى نما فى الصحارى حتى يصلح لهم فى بيئتهم الزراعية التجارية الجديدة . وشق على بنى اسرائيل التخلى عن عاداتهم ونظامهم الاول وحاولوا المحافظة عليه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا

التوطن فى فلسطين والخروج من مصر

نبذ بنو اسرائيل العيشة البدوية وتوطنوا فلسطين ويقال إن ذلك تم بين سنتى ١٤٠٠ و ١٢٠٠ ق . م . ويقول المؤرخون إنهم ذهبوا الى مصر وإنهم قاسوا كثيرا على يد الفراعنة . ومن المؤرخين من يدعى أن الذى سامهم سوء

---

(١) ص ٤٧

العذاب من الفراعنة كان رمسيس الثاني ومنهم من يزعم أنه منفتاح. ثم خرجوا من مصر تحت زعامة النبي موسى كما جاء فى الكتب المقدسة .

هذا وقد تقدم القول أن خروجهم من مصر كان غالبا قبل ذلك التاريخ (١) . فالثابت انهم كانوا فى فلسطين قبل زمن رمسيس الثانى ومنفتاح ، اذ أنهم انتهزوا تفكك ملك مصر أيام اخناتون للاغارة على فلسطين . وفوق ذلك فلا ضرورة تحتم أن يكون كل من كان فى فلسطين من بنى اسرائيل من نفس القوم الذين خرجوا من مصر .

بنو اسرائيل والكنعانيون

ولما سكن بنو اسرائيل فلسطين وجدوا بها الكنعانيين وهم من جنسهم تماما ، فامتزج الشعبان امتزاجا تاما .

ملك شاول

ثم قام النزاع بينهم و بين الفلسطينيين سكان السواحل وكانوا متحضرين مترفهين الا أن الضعف أخذ يدب فيهم . وقد كرههم بنو اسرائيل لعبادتهم الأوثان ، فاتحدوا عليهم تحت زعامة شاول .

ملك داود ١٠٠٠-٩٦٠ ق.م

الا أن شاول لم يكن على وفاق مع رجال الدين ، فقد كان هؤلاء يريدون ملكا يأتمر بأمرهم و يتبع نصحهم فى كل شيء . ولم يرض شاول أن يكون ذلك الملك ففتك بعدد كبير منهم فساعد من بقى منهم داودَ على تولى العرش بدلا من شاول .

ملك داود وكان رجلا قويا اخضع رجال الدين بعد أن ساعدوه وتحصن فى أرشليم وتغلب على الفلسطينيين ونظم ملكه على نمط الدول المتحضرة المجاورة ولكن كانت تغلب على ملكه الصفة الحربية وتقل فيه رفاهية الحضارة

ملك سليمان ٩٦٠-٩٣٠ ق.م.

وخلف داود ابنه سليمان وكان ملكه انعم من ملك داود شاول . بنى سليمان المعبد ونبذ سذاجة أبيه وبسط يده . وقد عرف سليمان كيف يستفيد من موقع فلسطين الجغرافى فتاجر مع حيرام ملك صور المدينة

---

(١) ص ٣٣

الفينيقية الكبيرة واتصل حتى بجنوبى شبه جزيرة العرب وله مع بلقيس ملكة سبأ قصة مشهورة وتزوج احدى بنات فرعون .

وقد أثار كل ذلك اعجاب بنى اسرائيل وتحدث أهل الشرق القديم بخزائن سليمان ومبلغ قدرته

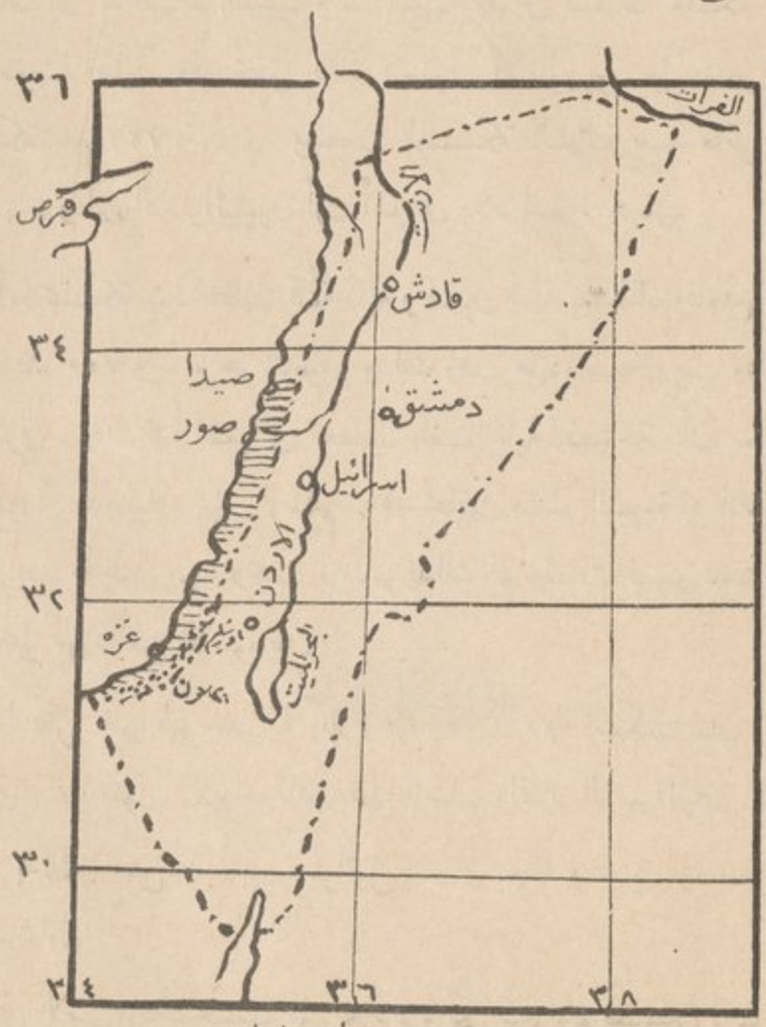

ضعف ملك بنى اسرائيل الانقسام الى مملكتى الشمال والجنوب عام ٩٣٠ ق . م .

وقد بدت بوادر الضعف فى هذا الملك سريعا . فلم تحتمل موارد الاسرائيليين الضرائب التى استلزمتها ابهة سليمان ، فثاروا أيام ابنه وانقسموا قسمين ، مملكة اسرائيل فى الشمال ومملكة يهوذا فى الجنوب ومقرها ارشليم

الكتابة العبرية أول تاريخهم ٨٥٠

وبعد ذلك نبذ الاسرائيليون استعمال الفخار والخط المسمارى وكتبوا على الورق بالمداد مستعملين الحروف الهجائية الفينيقية . ثم قص مؤرخ مجهول أول تاريخ لهم ضمنه اخبار آبائهم ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف

اشور تمحو مملكة الشمال

الا أن الانقسام اضعفهم وتنبأ نبيهم عاموس بسقوط مملكة اسرائيل لسوء معيشة أهلها . وقد تحقق ذلك فاستولى الاشوريون على سامريا عاصمة المملكة عام ٧٢٢ ق . م . وسقطت المملكة الشمالية بعد مائتى عام من تأسيسها ، وعانى الاسرائيليون أول أسر فى بلاد اعداء دينهم

الاسر الاول

النبى اشعيا

أما مملكة يهوذا فظلت قائمة مائة وخمسين سنة بعد ذلك وقام فيها نبى عظيم حوالى عام ٧٠٠ ق . م هو اشعيا . وذلك وقت ظهور سنخاريب وعلو كلمته فى الشرق . وقد تنبأ اشعيا فى خطب بلغت غاية الفصاحة بأن سنخاريب لن يفلح فى الاستيلاء على ارشليم . وقد تحققت تلك النبوءة اذ فتك بجيش سنخاريب طاعون مبيد ونجت ارشليم بذلك ثم سقطت نينوى عام ٦٠٦ وزال الخطر على يهوذا من الاشوريين

القضاء على المملكة الجنوبية ٥٨٦ ق.م.

ولكن ظهر لهم خطر اكبر . فقد قامت دولة الكلدانيين . وفى عام ٥٨٦ ق . م استولى نابوخذناصر على ارشليم واقتاد الاسرائيليين الى بابل

وبذلك انتهى ملك بنى اسرائيل بعد اربعمائة وخمسين عاما من انشائه على يد شاول .

الاسر ٥٦٨ — ٥٣٩ ق.م.

وفى الاسر ازداد حنينهم الى بلادهم وبكى شعراؤهم فلسطين : —

على أنهار بابل جلسنا وبكينا عند ما تذكرنا صهيون

على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا ، لان الذين اسرونا طلبوا منا ان نرنم لهم من ترنيمات صهيون

كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة ، ان نسيتك يا ارشليم تنسى يمينى . . .

يا بنت بابل طوبى لمن يجازيك جزاءك الذى جزيتنا »

العودة الى الوطن ٥٣٩ ق ٠ م ٠

وعندما استولى كورش ملك الفرس على بابل عاد بنو اسرائيل الى فلسطين و بنوا معبدهم . ولكن ملكهم لم يعد ، بل صار أصحاب الأمر فيهم رجال دينهم و بذلك تحول ملكهم الى رياسة دينية

الاداب الدينية

ثم جمعت بعد ذلك أخبار ملوكهم وأنبيائهم وانشئت المزامير للتغنى بها فى المعبد . و بعد ظهور المسيحية جمعت كل تلك الاشياء فى كتاب واحد هو العهد القديم .

الفصل الثاني عشر

الحضارة الفينيقية

وصف فينيقيا

فينيقيا سهل ضيق بين البحر الابيض المتوسط غرباً وجبال لبنان شرقاً . وتنبع فى هذه الجبال انهار تشق السهل وتصل الى البحر وهى سريعة الجريان لقلة البعد بين منابعها ومصابها

وقد اتخذ أقوام يتكلمون لغة سامية مدناً لهم على ساحل البحر اختاروا لمواقعها رؤوس الساحل والجزر الصغيرة القريبة منه فجمعوا بذلك بين صيد حيوان البحر والزراعة وانشاء السفن

ثم قامت لهم تجارة فى خشب غابات الجبال وحاصلات سوريا . وكانت هذ التجارة قديمة جداً ، نسمع عنها قائمة فى أيام الاسرة السادسة المصرية . واتسعت التجارة الفينيقية بعد ذلك اتساعاً كبيراً

شكل (١٦) سفينة حربية فينيقية

الحضارة الفينيقية

وللفينيقيين أثر كبير فى التاريخ ، اذ كانوا رسل الحضارة الشرقية الناشرين لها فى أوربا .

وأهم مدنهم صور وصيدا . وكانوا وثنيين ، عبدوا معبوداً اسمه بعل ورمزوا له برجل فى رأسه قرنا ثور . وكان بعل هذا معبوداً قاسياً لا بد من اراقة الدماء لارضائه وتسكينه. وعبدوا أيضاً معبودة اسمها استارتة ورمزوا لها بامرأة فى شعرها هلال وتحمل حمامة وتمثل عندهم الربيع والحب . وقد نفر بنو اسرائيل من هذه العبادات الوثنية

التنازع فى المدن الفينيقية على الحكم

وأول تاريخهم كان عهد ثورات داخلية ، اذ أن طبقة الاغنياء وذوى الانساب (الارستقراطية) حاولت أن تحكم المدن فثارت عليها العامة ، وقام النزاع بذلك . وكانت اذا تغلبت طبقة اضطهدت من تغلبت عليه فيضطر المغلوبون الى النزوح عن وطنهم والاستعمار خارج فينيقيا .

الاستعمار الفينيقى

قرطاجنة

وأشهر مستعمرات الفينيقيين قرطاجنة وقد أسسوها حول عام ٨١٤ ق.م

علاقات الفينيقيين بمصر واشور

لم يتحد الفينيقيون فى دولة واحدة ، ولم تكن هناك بين مدنهم الا روابط ضعيفة . وفى أول الامر كان لمدينة صور شبه رياسة عليهم .

ولم يكن للفينيقيين اطماع سياسية ، بل تفرغوا لتجارتهم . لذلك كانوا يتزلفون الى الدول القوية التى قامت بالقرب منهم ولو استلزم ذلك خضوعهم لها سياسياً . فخضعوا للمصريين أولا وللأشوريين ثانيا وللفرس أخيراً .

الخضوع لمصر ١٦٠٠ — ١١٠٠ ق.م

بدأ الخضوع لمصر فى عهد الاسرة الثامنة عشرة وانتهى أيام ثورة اخناتون ثم أعاده رمسيس الثانى .

استقلال الفينيقيين ١١٠٠ — ٨٧٦ ق.م

ولما ضعفت مصر بعد موت رمسيس تمكن الفينيقيون من الاستقلال . وصارت لصور الزعامة فيهم ، ونشطت حركة الاستعمار .

الخضوع للاشوريين ٨٧٦ — ٦٠٥ ق.م

واستمر الأمر كذلك الى عام ٨٧٦ ق.م عندما خضعت فينيقيا للاشوريين ودامت سيادة الاشوريين حتى سنة ٦٠٥ ق.م .

الفينيقيون فى مصر

وفى أثناء خضوعهم لمصر سمح الفراعنة لهم بالاتجار فى مصر وأسكنوا تجارهم فى أحياء خاصة بهم فى مدن الدلتا وعلى الأخص فى مدينة منف

مستعمرات الفينيقيين

ولما تخلصوا من السيادة المصرية نشطت حركة الاستعمار فاستعمروا فى قبرص ومنها انتقلوا لسواحل آسيا الصغرى ولجزيرة رودس وغيرها من جزر الارخبيل ولجزيرة كريد ومنها انتشروا شمالا فى تراقية فى شبه جزيرة البلقان وقد عبروا مضيقى الدردنيل والبسفور واستعمروا فى بلاد القوقاز .

الاغريق والفينيقيون

ولما قام الاغريق بنهضتهم العظيمة وجدوا الفينيقيين أمامهم فى كل مكان فقام نزاع بين الشعبين انتصر فيه الاغريق وأرغموا خصومهم على التخلى عن الاجزاء الشرقية للبحر الابيض المتوسط .

استعمار الفينيقيين فى غربى البحر الابيض المتوسط

فارتحل الفينيقيون الى الاجزاء الغربية منه واستعمروا فى ايطاليا وصقلية ومالطة وشمالى افريقيا وسردينيا وجزائر البليار . وعبروا مضيق جبل طارق وانشئوا مدينة قادش فى اسبانيا ووصلوا الى سواحل بريطانية وغاله (فرنسا الحالية) . ويقال إنهم زاروا سواحل افريقية الشرقية .

تجارتهم البرية

وكانت لهم أيضاً تجارة برية عظيمة وجلبت قوافلهم حاصلات بلاد العرب والهند والقوقاز واشور والسودان مثل العطور والاحجار الكريمة والذهب وسن الفيل وريش النعام والعبيد والسجاجيد والبلح .

صناعتهم

ربحوا ربحا كبيراً من هذه التجارة الشاملة العالم كله على عهدهم وقامت فى صور وغيرها صناعة راقية . واشهر صناعتهم نسج المنسوجات وعمل الاوانى من الذهب والبرونز والخلى والزجاج الشفاف واشتهروا خاصة بصبغ استخرجوه من الاصداف

حيرام ملك صور ٩٧٠ - ٩٣٦ ق.م

بلغت صور أقصى قوتها فى عهد حيرام صديق سليمان . وقد أرسل عمالا فينيقيين للعمل فى بناء معبده بارشليم

ثم استولى الاشوريون على فينيقيا فى عام ٨٧٦ ق.م واستخدم سنخاريب ملاحين فينيقيين فى سفنه .

وثارت صور مرارا وفى عام ٥٨٦ ق.م. حاصرها نبوخذناصر حصارا دام ثلاثة عشر عاما .

الخضوع للفرس ٥٣٨ - ٣٣٣ ق.م

ولما تغلب الفرس على الكلدانيين وصاروا أقوى دول الشرق

خضعت لهم فينيقيا من عام ٥٣٨ الى ٣٣٣ ق. م. وكانت السيادة الفارسية عهد رخاء للفينيقيين ظهرت فيه مدينه صيدا .

وفى الحروب بين الفرس والاغريق نقل الفينيقيون على سفنهم عساكر الدولة الغازية صاحبة السيادة عليهم . فانتقموا بذلك من طرد الاغريق لهم من مستعمراتهم فى شرق البحر الابيض المتوسط

الاسكندر الاكبر

ثم ظهر الاسكندر الاكبر المقدونى وقامت الحرب بينه وبين ملك الفرس ففقد الفينيقيون من ينصرهم ويقيهم عداء الاغريق . وفى عام ٣٣٢ ق . م . استولى الاسكندر على صور بعد حصار دام سبعة شهور ودمرها . ثم دخلت فينيقيا نهائياً فى حوزة الرومان كجزء من سوريا

نفوذ قرطاجنة

ورثت قرطاجنة عظمة صور وحكمت المستعمرات الفينيقية فى افريقية وصقلية واسبانيا . وورثت أيضاً عن صور عداوتها للاغريق والرومان .وسنرى كيف تغلبت روما على قرطاجنة وكيف دمرتها فى عام ١٤٦ ق. م.

سقوط قرطاجنة ١٤٦ ق . م

الحروف الهجائية

نقل الفينيقيون فيما نقلوا من حضارة الشرق الحروف الهجائية التى اتخذوها من الديموطيقية المصرية وجعلوها مكونة من اثنين وعشرين حرفا ساكنة ومتحركة وقد أخذ هذه الحروف عنهم الاغريق ومن الاغريق تعلمها الرومان.

الفصل الثالث عشر

الفـــــــرس

الفرس والاوربيون

يتكلم الفرس لغة آرية وكذلك الاوربيون لغاتهم آرية . وبذلك كان قيام دولة الفرس أول انتصار للناطقين بالآرية على الشعوب صاحبة اللغات السامية

وجدودهم الاول كانوا بدوا يسكنون بالقرب من بحر قزوين . ومنهم أقوام تركوا موطنهم واتجهوا غربا ثم سكنوا فى شبه جزيرة البلقان والى هولاء ينسب الاغريق والرومان ، وأقوام رحلوا نحو الشرق فذهب فريق الى الهند وفريق سكن شرقى الدجلة وهم الميديون والفرس .

زروستر

حوالى عام ١٠٠٠ ق . م . قام بينهم معلم دينى عظيم اسمه زُرُوَسْتر . وعلمهم أن هناك آلهين أحدهما اله الخير واسمه اهورمازدا والآخر اله الشر واسمه اهريمان وان الآلهين فى نزاع دائم .

نمو ملك الفرس

كانت القوة أولا فى يد الميديين وهم الذين حالفوا بابل ودمروا نينوى عام ٦٠٦ ق . م . وكان الفرس اذ ذاك يخضعون لهم وكانوا غير متحضرين ليست لهم آداب أو فنون أو كتابة ثم ظهر بين الفرس ملك عظيم هو مؤسس ملكهم ذلك هو كورش .

كورش

فتح ليديا وآسيا الصغرى ٥٤٦ ق . م

تغلب كورش على الميديين ثم على ليديا ، وهى مملكة اغريقية على شاطئ آسيا الصغرى ملكها اسمه كروسس وعاصمتها سرديس وذلك فى سنة ٥٤٦ ق . م . ثم حول الفتح نحو الكلدانيين فهزمهم واستولى على بابل سنة ٥٣٩ ق . م . وصارت دولته أقوى دول الشرق .

الاستيلاء على بابل ٥٣٩ ق . م

وقد أتم خلفاؤه توسيع دولته

فتح قمبيز مصر ٥٢٥م ق .

ففتح ابنه قمبيز مصر سنة ٥٢٥ ق . م . ولكنه فشل فى حملتين أرسلهما الى سيوه وبلاد النوبة . والظاهر ان ذلك الفشل اغضبه فأهان المصريين

بذبح معبودهم ابيس . وقد أسرع فى العودة الى بلاده لما علم بقيام رجل فيها ادعى الملك ولكنه مات فى الطريق

حكم دارا الاكبر وتنظيم الفتوح ٥٢١ - ٤٨٥ ق.م

ثم تولى أمر الفرس الملك العظيم دارا الأول فنظم المُلْك وقسم الدولة الى عشرين اقليما يحكمها ولاة من قبله .

ولم يكن الفرس غلاظ الطبع كالاشوريين فتركوا للشعوب المحكومة شيئاً من الحرية واكتفوا منها بالاتاوة والجند .

سوسه

ووصل دارا النيل بالبحر الأحمر لتسهيل المواصلات. واهتم لتحقيق ذلك بانشاء الطرق والبريد . وكانت عاصمته سوسه وموقعها فى الشمال الشرقى من الخليج الفارسى . وكانت له أيضاً مدينة ملكية لسكناه هى برسبوليس . وقد نقل الفرس فن البناء من مصر وبابل واشور وكتبوا أولا الخط المسمارى ثم الآرامى ثم الفينيقى .

الاسكندر الاكبر

وقد بقيت هذه الدولة العظيمة الحسنة السياسية قائمة الى أن قضى عليها الاسكندر الاكبر فى عام ٣٣٣ ق . م .

الدولة الفارسية فى أقصى اتساعها (فى الغرب) فى عهد دارا الأول

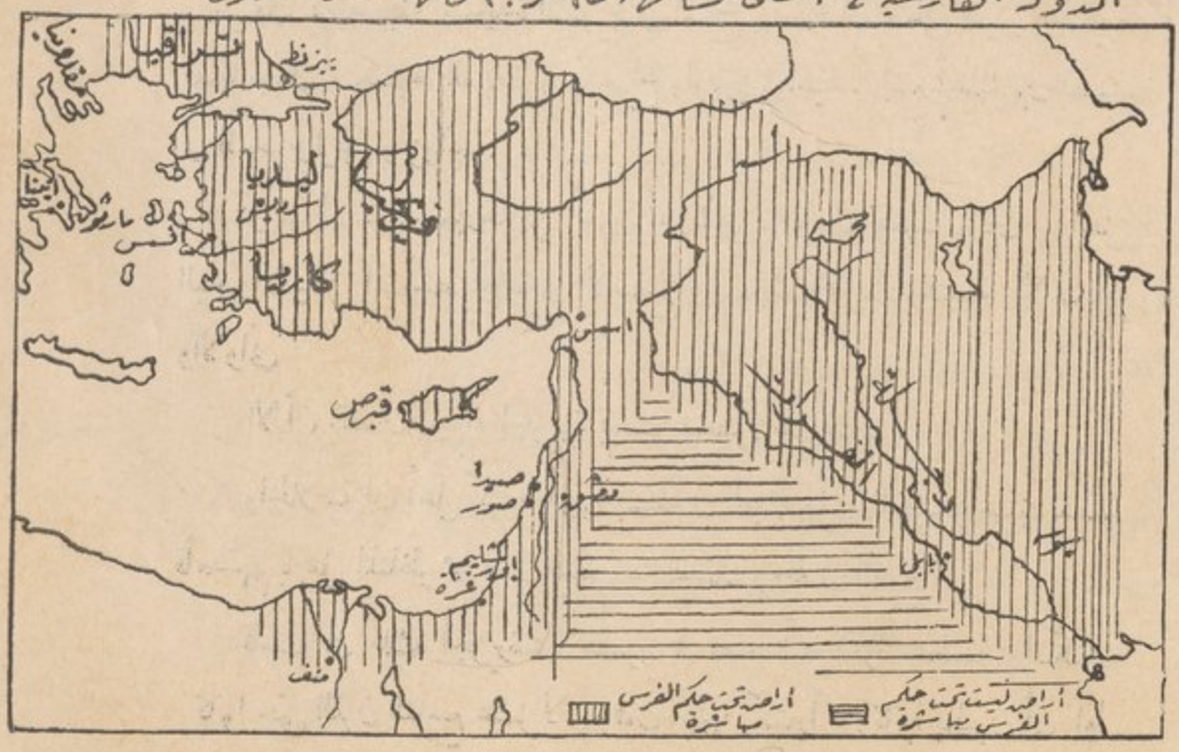

الباب الثانى

الاغـــــريق

الفصل الاول

كريد والحضارة الاغريقية الاولى

بحر الارخبيل

كريد وغيرها من الجزر وأشباه الجزر فى بحر الارخبيل بقايا أرض ممتدة من آسيا الصغرى لاوربا لم يغمرها الماء لارتفاعها

وفى كريد بيئة شديدة التنوع فى المناخ والحاصلات على ضيق الجزيرة ففيها جبال تكسوها الغابات وبها مراع وارض زراعية . فجمع أهلها بين الصيد فى البحر والرعى والزراعة .

واتصال كريد بغيرها من الجزر أمر سهل . فقامت بينها وبين سواحل البحر الابيض المتوسط تجارة فى الاسفنج والسمك والزيت والنبيذ والاحجار والاوانى .

الا أن اتصال أجزاء الجزيرة بعضها ببعض كان صعبا .

والخلاصة ان أهل كريد أوتوا بسطة فى العيش وأتمت الطبيعة عليهم نعمتها فأمدتهم باجمل المناظر مما بعث فيهم حبا للجمال ورقة فى الطبع

قامت فى تلك الجزيرة فى عصور قديمة جداً حضارة عظيمة ولكنهم كانوا حتى القرن التاسع عشر لا يعرفون عنها كثيراً . وكانوا يظنون أن أول

حضارة قامت فى تلك الجهات كانت الحضارة الاغريقية المشهورة فى التاريخ .

كيف كشفوا عن حضارة بحر الارخبيل ـ شليمان سير ارثر افانز

كان أول الكاشفين عن هذه الحضارة شليمان الالمانى . وتلاه باحثون آخرون أشهرهم الانجليزى سير أرثر افانز الذى رفع اللثام عن مدنية باهرة مقرها كريد

تروادة

بدأ شليمان بالحفر فى تلال تروادة فى الشمال الغربى من آسيا الصغرى فى عام ١٨٧٠ وفى ظرف أربع سنين كشف عن بقايا تسع مدن الواحدة منها فوق الاخرى . وليست تروادة التى وصف هوميروس فى أشعاره تغلب الاغريق عليها أقدم تلك المدن التسع ، بل قدر العلماء الزمن بين تراودة هذه وبين أقدم المدن التسع بالف سنة .

ميسينى

ثم انتقل شليمان الى بلاد الاغريق نفسها وأخذ يحفر فى اطلال قلعة ميسينى بالقرب من خليج كورنث . ووجد هناك قبوراً من الحجر وعثر بها على تاج وآنية من الذهب الخالص ووجد أيضاً آثارا مشابهة لها فى مدينة تيرينس عند منتهى خليج أرجوس

تيرينس

أما مهد تلك الحضارة فلم يكشف عنه إلا فى عام ١٩٠٠ عندما بدأ سير ارثر افانز ينقب فى اطلال كنوسس فى جزيرة كريد . وقد والى سير أرثر الحفر حتى وصل الى أصول تلك الحضارة التى قدر أنها ترجع الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد

كنوسس

ومنذ ذلك الكشف ميز المؤرخون بين حضارتين الاولى وموطنها جزيرة كريد سموها الحضارة المينوية نسبة الى مينو من ملوك الجزيرة المذكورين فى الخرافات الاغريقية والثانية وهى متفرعة عن الاولى وسموها الحضارة الميسينية نسبة الى ميسينى فى بلاد الاغريق

الكريديون

من هم أولئك الكريديون الذين قامت فيهم تلك الحضارة ؟ الرأى السائد أنهم من الجنس الافريقى الابيض أو من جنس البحر الابيض المتوسط وليست لهم صلة جنسية بالاغريق المعروفين فى التاريخ

ويعتقدون أنهم كانوا على اتصال بالحضارة المصرية القديمة فنقلوا عنها

أشياء كثيرة . فآنيتهم تشبه الآنية المصرية وكتابتهم مأخوذة عن الرموز الهيروغليفية .

شكل (١٧) نماذج من الفن الكريدى

بنى الكريديون المدن وبرعوا فى الصناعة واتخذ ملوكهم سكناهم فى كنوسس ، وأصبحت لهم علاقات تجارية كبيرة بمصر ، وقد وجد الباحثون آنية كريدية فى القبور المصرية .

ولكن الكريديين لسوء حظ التاريخ لم يبنوا مبانى ضخمة تقاوم فعل السنين كمبانى المصريين ، وللآن لم يستطع المؤرخون فك رموز كتاباتهم .

ازهى عصور الحضارة الكريدية ١٦٠٠ — ١٥٠٠ ق. م.

أما أزهى عصور تلك الحضارة فكان من عام ١٦٠٠ إلى ١٥٠٠ ق.م. أى فى عهد الاسرة الثامنة عشرة المصرية — عهد تحوتمس الأول وحتشبسوت . وفى ذلك العصر زين رجال الفن الكريديون جدران القصر الملكي بكنوسس بصور يخيل الى الرائى أنها تتجسم فيها الحياة ، وأتقن صناعهم عمل الآنية اتقاناً لم يبلغه الصناع المصريون . تمثل تلك الصور مناظر الحياة الكريدية بكل تفصيلاتها : يرى فيها الناظر السيدات وملابسهن التى لاتكاد تختلف عن أحدث الملابس ولهوهن وغير ذلك من مناظر الحياة اليومية . وقد سكن الملوك والعظماء فى مساكن من الحجر تتوافر فيها كل وسائل الراحة التى تجدها فى العالم اليوم مثل الحمامات وتقسيم المسكن الى غرف ومنافذ الاضاءة وتجديد الهواء وغير ذلك

الصور على جدران القصر الملكى

مساكن الكريديين

خضوع كريد لمصر

وفى القرن الخامس عشر قبل الميلاد خضع الكريديون للسيادة المصرية وقد عثروا حديثا على صحن من الذهب محلى بالنقوش أهداه تحوتمس الثالث الى قائد من قواده عينه حاكما على جزر الارخبيل

انتشار الحضارة الكريدية

ثم انتشرت الحضارة الكريدية الى بلاد الاغريق ومن مراكزها هناك تيرينس وميسينى . وتعرف الحضارة هناك بالحضارة الميسينية . ويمتد عهد تلك الحضارة من ١٥٠٠ الى ١٢٠٠ ق . م

تراودة

وانتشرت قبل ذلك الى آسيا الصغرى حيث بنى الكريديون تروادة قبل أن تظهر ميسينى بالف سنة أى فى سنة ٢٥٠٠ ق . م . وصار لملوك تروادة شأن لايقل عن شأن ملوك كنوسس ، ولكن ملكهم لم يشمل الا الساحل فكان معظم الهضبة فى يد الحيثيين ، وقد تقدم الكلام عليهم

الحيثيون

تدمير كنوسس اول مرة ١٥٠٠ ق . م .

وفى سنة ١٥٠٠ ق . م . أو بعدها بقليل أغار على كريد أقوام من الشمال وتغلبوا عليها وأحرقوا القصر الملكى بكنوسس ولكن الحضارة استمرت قائمة فى حالة ضعف خمسمائة سنة أخرى أى الى سنة ١٠٠٠ ق. م. عند ما تجددت اغارة أهل الشمال ودمروا كنوسس تماماً .

تدمير كنوسس النهائى ١٠٠٠ ق . م .

والظاهر أن هؤلاء المغيرين الآتين من الشمال هم الدوريون المذكورون فى شعر هوميروس .

الفصل الثانى

قـــــــدوم الاغريق

الحضارة الاغريقية

بعد تدمير الحضارة الكريدية كانت فترة ساد فيها التبربر فى بحر الارخبيل وسواحله . واستمر الامر كذلك الى أن قامت الحضارة الاغريقية

اذا قورنت هذه الحضارة بحضارة مصر وبابل تجدها أقصر منها عهداً . فلا يدوم أزهى عصورها اكثر من مائتى سنة اذا اعتبرنا المدة بين سولون والاسكندر الاكبر . ولكن لهاتين المائتى السنة أثر خالد فى تاريخ الانسان ، ففى أثنائها ضرب الاغريق بسهم فى كل عناصر الحضارة من نظم سياسية وقانون وفنون وعلوم وآداب وفلسفة ، ووضعوا الاساس الذى قامت عليه الحضارة الحديثة .

وللأغريق ميزة أخرى هى أن تأثيرهم لم ينته بانقضاء عهد استقلالهم السياسى فقد نشرت فتوح الاسكندر حضارتهم فى بلاد الشرق ، وتتلمذ لهم الرومان بعد أن أخضعوهم لحكمهم فكانت الدولة الرومانية العظيمة اغريقية التمدين

من هم الاغريق

قدم الاغريق من مراعى وسط أوربا وأصلهم كما تقدم من المراعى قرب بحر قزوين ودخلوا شبه جزيرة البلقان حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م . وقضوا نحواً من الف سنة فى الاستقرار فى شبه الجزيرة

الآخيون
الدوريون

وكانت أول القبائل قدوماً قبائل الآخيين التى توغلت جنوبا فى ارض البلوبونيز (بلاد المورة الآن) . وبعدها قدم الدوريون حوالى عام ١٥٠٠ ق.م. وأخضعوا الآخيين والكريديين الذين تقدم وصف حضارتهم وأسسوا مدينة اسبرطة الشهيرة . وبين عامى ١٣٠٠ و ١٠٠٠ ق. م. قدم الايونيون، وما حلت سنة ١٠٠٠ ق . م . إلا وقد استقروا جميعاً فى شبه الجزيرة والجزر وسواحل آسيا الصغرى .

الايونيون

الاغريق والكريديون

لا يعرف المؤرخون مصير الكريديين بعد تدمير حضارتهم، ويحتمل أن اختلط معظمهم بالفاتحين . وكل ما نعرف أن الدوريين استولوا على كنوسس حوالى عام ١٥٠٠ق م ونقرأ فى أشعار هوميروس أو الياذته حصار أهل الشمال لمدينة تراودة . والثابت أيضاً أن تلك الاغارات المختلفة سببت قلقلة عظيمة بين سكان الشرق جميعاً ، فاضطربت دولة الحيثيين فى آسيا الصغرى وتحرك أقوام من أهل البحر نحو السواحل المصرية ، ولم يمنعهم عن مصر إلا بأس رمسيس الثالث ، واستولى القوم المعروفون بالفلسطينيين على ساحل فلسطين . وعلى ذلك فما حلت سنة ١٢٠٠ ق. م. إلا وقد ضعفت الحضارة الكريدية .

الدوريون يستولون على كنوسس

حصار تراودة

أثر الحضارة الكريدية فى الاغريق

كان الاغريق وقت قدومهم متبربرين لا يعرفون كتابة ولا زراعة وكانوا رعاة . ولا بد أنهم تعلموا الكثير من الحضارة الكريدية فأسسوا المدن وخضعوا الملوك وأخذوا بالمعتقدات الدينية الكريدية وخرافاتها .

أثر الفينيقيين

ولا بد أن يكونوا قد تعلموا أيضاً من الفينيقيين . وقد تقدم كيف كان الفينيقيون منتشرين اذ ذاك . فلا بد أن اتصل الفريقان وقلد الاغريق الفنون والصناعات الفينيقية . وهذه كانت مصرية أو أشورية أو بابلية الاصل . وعلى ذلك فمصدر الفن الاغريقى شرقى . وتعلم الاغريق أيضاً حروف الهجاء الفينيقية حوالى عام ٩٠٠ ق. م.

بدء الفن الاغريقى الحروف الهجائية

المعتقدات الدينية

أما معتقداتهم الدينية فقد أخذوا الكثير منها عن الكريديين والفينيقيين

شعر هوميروس ٧٥٠ — ق . م .

وقد عرف المؤرخون الكثير عن هؤلا. الاغريق الاول من شعر هوميروس وهو رجل مكفوف البصر من جزيرة خيوس وصف حصار تراودة فى قصة شعرية طويلة . ولم تدون هذه القصة فى أيامه انما كان يتناقلها الرواة ويحفظها الناس لشدة اعجابهم بها ، وتعرف هذه القصة بالالياذة . وتلحق بها قصة أخرى تنسب أيضاً لهوميروس واسمها الاديسية وفيها وصف الشاعر ما جرى لأحد أبطال الحصار بعد الاستيلاء على تراودة الى أن عاد لبلاده . وللاغريق أيضاً قصص خرافية شائقة كان يرويها الرواة المتنقلون من مدينة لأخرى ويتغنى بها المغنون فى الولائم والاجتماعات .

الخرافات الاغريقية

الا لهة

ومن هذه الاشعار والقصص عرفنا أن الاغريق الاول كانوا يعتقدون أن آلهتهم تقطن جبل المبوس فى تساليا وأنهم كانوا ستة من الذكور وستة من الاناث . كبيرهم زيوس وهو أبو الآلهة والناس ، ومنهم ابولو اله الموسيقى والنور وافروديتى آلهة الجمال .

الفصل الثالث

عهد الملوك (١٠٠٠ — ٧٥٠ ق . م) و عهد الاشراف (٧٥٠ — ٦٠٠ ق.م)

المدن الاغريقية

لم يكن للاغريق من أول ظهورهم دولة واحدة تجمعهم كلهم فى حكمها ولكن كانت لهم دول كثيرة جداً لاتزيد ارض الواحدة منها عن مدينة واحدة . ولكل منها ملكها وشريعتها وجيشها ومعبدها وعبادتها . وهذا نظام سياسى لا نراه فى وقتنا الحاضر فالدولة الواحدة الآن تشمل مملكة باسرها وأحياناً تشمل أقطارا نائية عنها .

لم لم تكن للاغريق دولة واحدة

ويفسر المؤرخون ذلك بأسباب جغرافية : فبلاد الاغريق جبلية وسواحلها كثيرة الخلجان فيصعب قيام دولة واحدة فيها . والظاهر أن الاغريق ظنوا أن قيام الدولة الواحدة لا يتفق مع الحرية ، وأيدهم فى ظنهم مارأوه من الاستبداد فى الدول الشرقية العظيمة مثل فارس

وليس معنى ذلك أن الاغريق كانوا منفصلين انفصالا تاما بعضهم عن بعض ، فقد مرت بهم أزمات أدت الى اشتراك المدن المختلفة فى جهود واحدة وقامت بينهم أيضاً احلاف من المدن لاغراض دينية وتجارية ، فكان هناك حوالى عام ١٠٠٠ ق . م . أربعة احلاف : أقدمها حلف ارجوس الذى تغلب على ميسينى وترينس الكريديتين واستولى على سهل أرجوس ، ومنها حلف لاكونيا أو اسبرطة الذى استولى على الاجزاء الجنوبية من شبه جزيرة البلقان المعروفة باسم البلوبونيز ، وكان فى الشمال حلفان أولهما حول مدينة اثينا واسمه اتيكا والآخر حول مدينة طيبة الاغريقية واسمه بوشيا .

حلف ارجوس

حلف لاكونيا

حلف اتيكا

حلف بوشيا

ومما أظهر الوحدة الاغريقية الالعاب الالمبية ، وأول ماعقدوها كان فى عام ٧٧٦ ق.م وصارت بعد ذلك تقام كل أربع سنين مرة ويتبارى فيها اللاعبون من كل أنحاء البلاد . وبلغ من قيمتها عندهم أنهم كانوا يؤرخون الحوادث بها .

مظاهر الوحدة الاغريقية

١ — الالعاب الالمبية

٢ ـ المجامع الدينية

وكانت أيضاً المجامع الدينية العاملة يجتمع فيها الاغريق من مختلف المدن فى صعيدواحد ومن أشهرها اجتماعهم السنوى فى جزيرة ديلوس للاحتفال بابولو .

٣ ـ وحدة اللغة

وللاغريق أيضا لغة واحدة وان تعددت لهجاتهم

٤ـ اشعارهوميروس

ولهم أيضا أشعارهوميروس وهى تراث الاغريق جميعا يحفظها خاصتهم وعامتهم بذلك كله شعر الاغريق أنهم أمة واحدة على الرغم من استقلال مدنهم بعضها عن بعض ، واتخذوا لانفسهم اسما واحدا هو أبناء هلاس ، وكانوا فى نظر أنفسهم هم الناس ومن عداهم من الخلق برابرة

مميزات هذا العهد من تاريخهم

ولهذا العهد من تاريخهم مميزات أولها التطور السياسى فى المدن الاغريقية : فحدث فيها خلع الملوك واتخاذ حكم الاشراف بدل الملوك ، ثم اغتصب الحكم فيها مغتصبون ، وتخلص العامة من حكم المغتصبين واستولوا على ازمة الحكم فصار الحكم فى المدن ديموقراطيا أى حكم العامة

١ ـ التطور السياسى

٢ ـ الاستعمار

وثانيها الاستعمار بين عامى ٧٥٠ و ٦٥٠ ق . م .

٣ ـ نمو الحضارة

وثالثها ارتقاء الصناعات والفن والآداب واصطباغها بصبغة جديدة مبتكرة بعد تعلمهم أصولها من الكريديين والفينيقيين

نمو الحكم الديمقراطى

تقدم أن الملوك كانوا أول من حكم المدن ، وكانوا يعتقدون أنهم من نسل الآلهة ، ولكن على الرغم من ذلك لم يكونوا تامى السلطة فقد كان بجانبهم مجلسان أحدهما للشيوخ والآخر لاحرار الناس . وقد بقى هذا النظام حتى عام ٧٠٠ ق.م. وفى بعض الجهات ظلت الملكية قائمة أبداً مثل مقدونيا واسبرطة.

وحوالى ٧٥٠ ق . م. الغيت الملكية فى اكثر المدن الاغريقية وحل محلها النظام الارستقراطى أو حكم الاشراف . وقد استمرت الارستقراطية فى بعض المدن ولكنها تحولت الى الديموقراطية فى أكثر الجهات وصار الحكم فى أيدى العامة غير الارقاء الذين كانوا كثيرى العدد وغير الاجانب .

وقبل أن تنتصر الديموقراطية حدث أن السلطة كان يغتصبها رجل واحد ، ومن المغتصبين من شجع الفنون والاداب وكان عادلا فى حكمه . و بعد القرن السادس قبل الميلاد لم يكن هناك مغتصبون الا فى بعض المستعمرات الاغريقية كصقلية

الفصل الرابع

الاســـــــتعمار الاغريقى

فضل الفينيقيين

للفينيقيين فضل تعليم الاغريق كيف يصنعون السفن وكيف يسيرونها ولما تم ذلك انتشر الاغريق فى البحار .

بواعث الاستعمار

دفعهم لذلك نزاع الاحزاب السياسية فى المدن ورغبة المغلوبين فى عراك السياسة فى النزوح الى أرض غريبة بعيدين عن أعدائهم . وكان الاتجار أيضا باعثا قويا ، فأسسوا لهـذا الغرض مستعمراتهم فى البحر الاسود ، ومن أشهرها بيزنطة التى أنشئوها سنة ٦٥٨ ق . م . ومن أجل التجارة أيضا حلوا فى قبرص وسكنوا نوقراطيس فى مصر .

بيزنطة ٦٥٨ ق . م

نوقراطيس

جنوب ايطاليا

اتسعت حركة الاستعمار وامتدت غربا فسكن الاغريق جنوب ايطاليا حيث كانت مستعمراتهم تعرف باسم ماجنا جريشيا ، وعلموا أصحاب البلاد الأصليين كتابتهم وفنونهم .

سيراكيوز ٧٣٤ ق . م

وسكنوا أيضا جزيرة صقلية وانتزعوا فيها مستعمرة سيراكيوز من أصحابها الفينيقيين فى سنة ٧٣٤ ق . م . وناصبوا قرطاجنة العداء مناصبة الند للند .

ساحل آسيا الصغرى وجزر الارخبيل

وتحول ساحل آسيا الصغرى وجزر الارخبيل الى بلاد إغريقية صرفة .

ماسيليا

وبلغ من نشاطهم انهم استعمروا فى ساحل غالة (فرنسا) الجنوبى ، ومدينة مارسيليا الحالية اصلها ماسيليا المستعمرة الاغريقية .

العلاقة بين المستعمرات والبلاد الاصلية

ومن أخص ما يذكر عن الاستعمار الاغريقى أن المستعمرات كانت مستقلة عن البلاد التى انشأتها ، فكانت العلاقة بينها علاقة حب وصداقة كالعلاقة بين أفراد اسرة واحدة مستقل بعضهم عن بعض ولا تربطهم الا أواصر القرابة

نتائج الاستعمار

نشطت التجارة باتساع نطاق الاستعمار وأثرى الأغريق ، فتطلبوا الجديد

فى الفن والصناعة وانتحوا فيها نحوا لم يسبقهم اليه أحد ، وارتقت فى أيديهم صناعة السفن ، وتم لهم فى آخر الامر انتزاع التجارة من الفينيقيين .

وكانت هناك أيضا نتائج اقتصادية وسياسية : منها انهم سكوا النقود واستعملوها بدلا من المقايضة ، ومنها ظهور ذوى الثراء من التجار وكسرهم شوكة الاشراف .

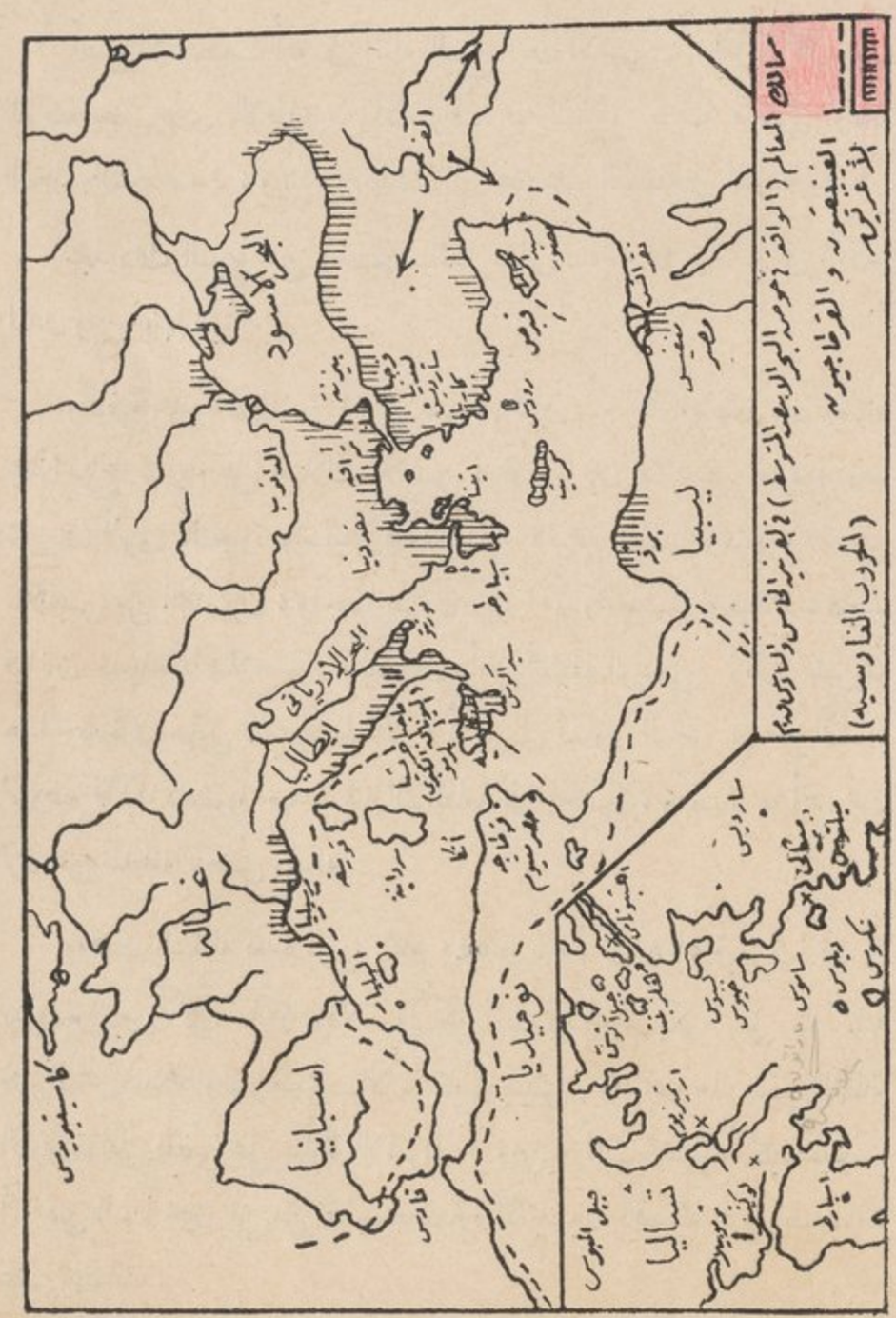

الفصل الخامس

عهد المغتصبين (٦٠٠ — ٥٠٠ ق . م.)

المغتصبون

أصل الاغتصاب أنه فى أثناء النزاع بين الاشراف والعامة كان يتهز الفرصة بعض ذوى الاطماع من الاشراف فيترك أهل طبقته ويتولى زعامة التجار والعامة ضدهم ، ويتدرج بذلك الى اغتصاب السلطة فى المدينة لنفسه .

نجد ذلك النوع من الحكم سائدا حوالى عام ٦٠٠ ق . م. فى اكثر المدن ومن بينها اثينا .

سولون

وكيفية حدوثه فى اثينا أنه فى سنة ٥٩٤ ق . م. كان بينها وبين مدينة مجارا نزاع شديد على امتلاك سلاميس ، فقام بين الاثينيين سولون وهو شريف أثرى بالتجارة واستنفر قومه وأثار ثائرهم بالخطب والشعر ، فانتزعوا سلاميس من المجاريين ، وأحبوا سولون حباً جماً وأسلسوا له قيادهم ، فوضع قوانين جديدة لاصلاح حال الفلاحين وأهل الطبقة الوسطى . وكان تشريعه هذا خطوة فى سبيل الديموقراطية لأنه أدى الى تساوى الناس فى نظر القضاء ثم وضع لاثينا دستوراً مهد لاشتراك العامة فى الحكم ، وبعد ما أتم عمله نزل عن سلطته بمحض رغبته .

بيزيستراتوس

ووقعت السلطة بعده من عام ٥٤٠ ق . م. الى ٥٢٨ ق . م. فى يد بيزيستراتوس وكان حاكما عادلا . ولكن ابنيه بعده لم يكونا على شاكلته فثار الناس ضدهما وصار صاحب الأمر كليسثينيس . وقد تم هذا نقض النظام الارستقراطى فقضى على سلطة الاشراف . ومن غرائب تشريع كليسثينيس أنه سن قانوناً يجيز نفى من تقضى كثرة الاثينيين باقصائه عن وطنه لمدة عشر سنوات .

كليسثينيس

النفى

تقدم الحضارة

تقدمت الحضارة فى عهد المغتصبين ، فظهر شعراء مختلفون منهم بندار ومنهم سافو وهى امرأة شاعرة وعظم فن التمثيل وهو فن سيكون له شأن ايما شأن فى الأدب الأغريقى وارتقى كذلك فن البناء وصنع التماثيل والآنية . وابتدأ الاغريق يبحثون فى الفلسفة والعلم ، ومن أشهر الفلاسفة الاول ثاليس ومن الرياضيين فيثاغورس

الفصل السادس

الكفاح بين الفرس والاغريق

٥٠٠ — ٤٧٩ ق . م .

تمهيد

تقدم القول كيف فتح كورش ملك الفرس مملكة ليديا الاغريقية فى عام ٥٤٦ ق . م . وقد كان من أثر ذلك أن تقابل الفرس والاغريق فى آسيا الصغرى وجهاً لوجه ، وذلك لأن اخضاع الليديين مكّن الفرس من المستعمرات الاغريقية فى آسيا الصغرى .

ثم مد قمبيز حكم دولته فشملت المدن الفينيقية وقبرص ومصر ومستعمرات الاغريق فى أفريقية .

وفى عام ٥١٣ ق . م . تقدم الفرس نحو أوربا فغزا دارا تراقيا فى شبه جزيرة البلقان .

بذلك كله أصبح الفرس يحيطون بالاغريق احاطة السوار بالمعصم . ورأى الاغريق أن أعداءهم لا يهددون متاجرهم فقط بل أن استقلالهم وحضارتهم باتا تحت رحمة ملك الشرق العظيم . فكافحوه لا للنفوذ والغنى ولكن للدفاع عن أعز ما تملك أمة .

ثورة الاغريق فى آسيا الصغرى

بدأ الكفاح لما قامت المدن الاغريقية فى وجه الفرس فى سنة ٥٠٠ ق . م . وأرسل الاثينيون مدداً للثوار نجح فى تخليص سرديس عام ٤٩٩ ق . م . هاج ذلك دارا فصمم على تأديب الاغريق ، و بلغ من عزمه أن أمر أحد أتباعه أن يكرر أمامه كل يوم : « مولاى . لا تنس الاثينيين ! »

اخماد الثورة

و بعد عراك ست سنين تمكن دارا من اخماد الثورة فى آسيا الصغرى ، وخرّب المدن وسبى أهلها ، وأعد العدة بعد ذلك لعقاب الاغريق انفسهم .

الحملة الفارسية الاولى ٤٩٢ ق . م .

قامت الحملة الفارسية الاولى فى عام ٤٩٢ ق.م ولكن الحظ خدم الاغريق فثارت عاصفة شتتت السفن الفارسية وأفسدت تدبير دارا .

الحملة الثانية ٤٩٠ ق. م .

و بعد ذلك بسنتين أعاد دارا الكرة ، ونجح فى انزال جيشه عند ماراثون وتقابل الجيشان فى سهل ماراثون .

ماراثون

لم يكن للاثينيين فى تلك الواقعة من مساعد سوى مدينة بلاتيه الصغيرة وكانوا أقل من الفرس عددا ، ولكن كان لهم فى ملتيادس قائد ماهر . وكانوا على عكس الفرس شعباً حراً يحكم نفسه بنفسه . وكانوا على عكس الفرس أيضاً يحاربون لا للفتح والغلب ولكن للدفاع عن وطنهم واعراضهم وحريتهم .

انتصر الاغريق فى ماراثون . وقد قدر هيرودوت خسارة الفرس بستة آلاف رجل والاغريق بمائتين .

ولانتصار الاغريق أثر كبير فى تاريخ العالم : إذ أن ذلك الانتصار حفظ لهم حريتهم ومكنهم من توريث العالم كله . من غرب وشرق آراءهم فى السياسة والدين والعلم والأدب والفن والفلسفة .

ويؤيد هذا الانتصار رأى القائلين بأن حسن النظام والحماسة الوطنية قد يبلغان مالا تبلغه كثرة العدد وكمال العدة .

الحملة الثالثة ٤٨٠ ق . م

مات دارا قبل أن يثأر لنفسه، فقام ابنه اجزركسيس بحملة فى عام ٤٨٠ ق.م. وكان الاغريق فى تلك الاثناء قد أعدوا عدتهم ؛ وذلك أن أحد كبار ساستهم

ثموستوكوليس

ثموستوكوليس تمكن من اقناع الاثينيين بضرورة اعداد قوة بحرية كبيرة حتى تكون الحرب براً وبحراً .

واقعة ترموبوليه

تقدم الفرس براً نحو اثينا ولم يبق عليهم للوصول اليها الا اجتياز مضيق من الارض بين الجبال والبحر . ذلك هو مضيق ترموبوليه . وقد وقف لحراسته ليونيداس ملك اسبرطه . ولكن خائنا من الاغريق دل الفرس على مسالك فى الجبال تمكنوا بها من الاحداق بليونيداس وجنده . وترك معظم رجاله ولم يبق معه الا ثلاثمائة اسبرطى قاوم بهم الآلاف من الفرس الى أن فنوا جميعاً وتقدم الفرس على اثينا واستولوا عليها ودمروها .

وهنا ظهرت حكمة ثموستوكليس . فان السفن الاثينية دمرت الاسطول

واقعة سلاميس الفارسى عند سلاميس . وعاد اجزركسيس الى بلاده موليا القيادة مردونيوس

وفى العام التالى استأنف مردونيوس القتال ، فانتصر عليه الاغريق

واقعة بلاتيه انتصاراً حاسما فى واقعة بلاتيه حيث قتل مردونيوس فى سنة ٤٧٩ ق . م .

واقعة ميكالى وفى تلك السنة أيضاً انتصر الاغريق بحراً فى واقعة ميكالى . وبعدها عدل الفرس تماماً عن اعادة الكرة واحتفظ الاغريق باستقلالهم

الفصل السابع

حلف ديلوس وملك اثينا

اشترك الاغريق كلهم فى الدفاع عن بلادهم، ولكن ثقل الأعباء كان على اثينا . فلا عجب اذا أصبح لها بعد هزيمة بلاتيه مركز خاص ورياسة بين المدن الاغريقية . واتجهت سياستها بعد انتهاء الكفاح مع فارس الى الاحتفاظ بهذه الرياسة . فكونت من مدن آسيا الصغرى وجزر الارخبيل حلفا تحت زعامتها واتفقت معها على أن تقوم كل مدينة بتقديم عدد معين من السفن أو مقدار معين من المال كل سنة نحو الدفاع عن الاستقلال . ويعرف هذا الحلف بحلف ديلوس نسبة للجزيرة بهذا الاسم حيث كانت خزانة الحلف ، وتقرر ان يجتمع كل عام مندوبون من المدن المختلفة للبحث فى مايهمهم من الامور .

حلف ديلوس ٤٧٧ ق . م .

ولم يلبث الاثينيون بعد ذلك طويلا حتى تحركت فى نفوسهم الاطماع فأخذوا يعملون على تحويل الحلف عن حقيقته وجعله ملكا لاثينا ، وأشاروا على حلفائهم أن لايقدموا للحلف سفنا بل مالا . ثم انفقوا ذلك المال فى تقوية بحريتهم وأصبحوا بذلك من القوة بحيث ضعفت المدن الاخرى ضعفا كبيرا وخضعت لاثينا خضوعا لايتفق مع تساوى الحليفات .

ملك اثينا

وبعد ذلك كشف الاثينيون عن سياستهم الحقيقية فنقلوا خزانة الحلف من ديلوس الى اثينا وانفقوا منها كما يشاءون .

الفصل الثامن

عصر بريكليس

٤٦٠ — ٤٣٠ ق . م .

الحرب بين اثينا واسبرطة

أثار ملك اثينا واستبدادها بحلف ديلوس ثائرة الغيرة والخوف والغضب فى المدن الاغريقية الكبيرة وعلى الأخص فى مدينة اسبرطة ، وكان أهلها يرون أنهم ليسوا أقل من الاثينيين جدارة بالزعامة بين الاغريق . ونهيأت بذلك أسباب الحرب بين اثينا واسبرطة ، ولم تنته الا بعد أن ضعف الاغريق جميعاً وزال ملك اثينا .

ولما بدأ النزاع بين المدينتين انقسم الاثينيون الى فريقين : فريق رأى تجنب أسباب الخصام وحبذ المسالمة وكان على رأسه سياسى اسمه سيمون ، وفريق رأى وجوب العمل على حفظ الزعامة لاثينا ولو أدى ذلك الى الحرب وكان على رأسه ثموستوكوليس . وفى عام ٤٧١ ق . م هُزِمَ ثموستوكوليس وأبعد عن اثينا . وبعد ذلك بعشر سنين نفى سيمون .

سيمون

ثموستوكوليس

بريكليس

وظهر بذلك سياسى عظيم هو بريكليس

كان بريكليس على رأى ثموستوكوليس فى وجوب مناصبة اسبرطة العداء وبسط سلطان الاثينيين على الاغريق جميعاً . وقد نجحت سياسته وصارت مدة زعامته من ٤٦٠ الى ٤٣٠ ق م عصراً معدوداً . ولكن بعد موته ظهرت نتيجة سياسته فانفرجت مسافة الخلف بين اثينا واسبرطة وقامت بينهما حرب دامت ثلاثين سنة انتهت بسقوط اثينا كما تقدم .

شكل (١٨) بريكليس

اثينا فى عصر بريكليس الديموقراطية

حول بريكليس الحكم فى اثينا الى ديموقراطية تامة ، فجرد مجلس الشيوخ من السلطة ووضعها فى مجلس من خمسمائة عضو منقسمين الى عشرة أقسام كل منها مكون من خمسين رجلا وتتناوب الاقسام العشرة الحكم .

وقرر أيضاً أن يكون التوظف بالاقتراع فمن خدمه الحظ فيه نال وظيفة . واستثنى من ذلك النظام قيادة الجيش وقت الحرب ولكنه لم يستثن منه القضاء .

وعدا ذلك كان هناك مجلس عام لكل الاحرار اشتراك فيه يجتمع ثلاث مرات فى الشهر الواحد ويرأسه بريكليس .

وكان للاثينيين شغف شديد بالمناقشات السياسية وتقدير كبير للفصاحة فى الخطابة ، فكان يسود الجم الغفير منهم فى اجتماعات المجلس الانتباه التام وعلى الأخص اذا كان المتكلم بريكليس وقد بلغ ما بلغ اليه بمقدرته الخطابية

موازنة بين الديموقراطية الاثينية والديموقراطيات الحديثة

تقوم الديموقراطيات الحديثة فى ممالك قد يبلغ سكانها الملايين مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة على حين كانت الديموقراطية الاثينية لايزيد عدد سكانها عن بضعة آلاف . فعلى ذلك لايوجد فى الوقت الحاضر مجالس عامة كالذى وصفناه فى اثينا ، إذ لا يمكن لملايين الانجليز والفرنسيين أن يجتمعوا فى مكان واحد كما أمكن آلاف الاثينيين . وكل مايمكنهم عمله هو أن ينتخبوا مندوبين عنهم لايزيدون عن بضع مئات ويتكلمون بلسان قومهم . فعلى ذلك تقوم الديموقراطيات الحديثة على فكرة التمثيل السياسى .

وتختلف الديموقراطيات الحديثة ايضاً عن اثينا فى أمر التوظف : فالاقتراع على الوظائف قد يؤدى الى حلول غير الاكفاء فى وظائف الدولة وعلى الأخص فى الوقت الحاضر الذى كثرت فيه أعمال الحكومات واستلزم تشعب الادارة كفاية خاصة فى الموظفين . فعلى ذلك لا يقترع فى الديموقراطيات الحاضرة لا على وظائف الدولة ولا على مناصب القضاء .

وقد تمكن الاثينيون من القيام بنصيبهم فى الحكم لوجود الرق بينهم . فيلزمنا تذكر أن الاحرار فى اثينا كانوا قليلين اذا قرنوا بالارقاء المحرومين من كل حق سياسى . أما الديموقراطيات الحديثة فليس فيها استرقاق أبداً .

الحضارة الاثينية فى عصر بريكليس

لم تظهر عيوب الديموقراطية الاثينية أيام بريكليس لعظم نفوذه السياسى ولحسن قيادته لها . وقد أخفاها أيضاً مابلغه الاثينيون أيامه فى الفنون والآداب

شكل (١٩) قاذف « القرص » : مثال من الفن اليونانى

فيدياس

فبنوا المعابد الفخمة ومن أشهرها البارثينون الذى زينه فيدياس باجمل المناظر وهذا المعبد فوق تل عال مشرف على اثينا يعرف بالاكروپوليس ، وجعلوا خارجه تمثالا للمعبودة اثينا ارتفاعه سبعون قدما يرى على مسافة كبيرة

واهتم بريكليس اكبر اهتمام بالتمثيل لما فيه من تربية الذوق السليم ، فكان بالقرب من الاكروپوليس مسرح ديونيسيوس وهو عظيم يسع ٣٠٠٠٠ شخص.

شكل (٢٠) البارثينون فى حالته الراهنة

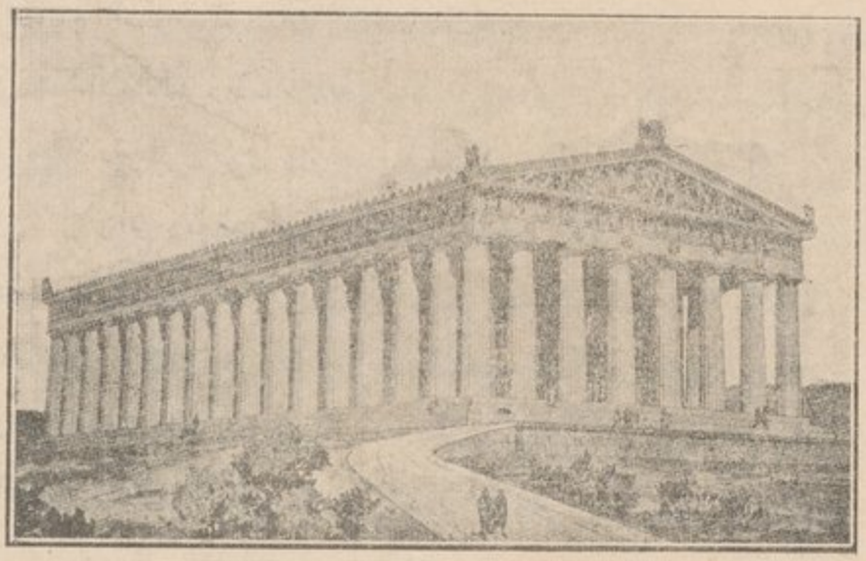

شكل (٢١) البارثينون كما كان

وكانت تمثل فيه الروايات التى وضعها اسكيلوس وسوفوكليس ويوربيديس واريستوفانيس . ولا يزال الناس يعجبون اعجابا كبيرا بما كتبه هؤلاء الرجال العظام .

الفصل التاسع

الحرب بين أثينا واسبرطة

٤٣١ — ٤٠٤ ق . م .

أسباب الحرب

تقدم ذكر ما أثارته عظمة أثينا من الغيرة وأنها أدت الى حرب طويلة بينها و بين اسبرطة دامت من ٤٣١ الى ٤٠٤ ق. م. وقد شطرت تلك الحرب الاغريق شطرين ، فانضمت الى اسبرطة مدن البلوبونيز والاجزاء الوسطى من بلاد الاغريق وانتصرت لاثينا الجزر .

الاختلاف بين أثينا واسبرطة

و بين اثينا واسبرطة اختلاف كبير : فاثينا وحليفاتها أهلها أصلهم أيونيون أما أهل اسبرطة وحليفاتها فهم من نسل الدوريين ، و بينما اثينا يسود فيها الحكم الديموقراطي نجد اسبرطة تسود فيها الارستقراطية .

وفى هذا الاختلاف تفسير لطول مدة الحرب وللوحشية التى ظهرت فيها .

اسبرطة

تفرغ الاسبرطيون طول تاريخهم لاتقان فن الحرب فكانوا لا تهمهم السياسة ولا الآداب ولا الفنون ولا التجارة . وكانوا ثلاث طبقات : الطبقة الاولى كانت مكونة من الاسبرطيين الاصليين وعددهم نحو ٩٠٠٠ وكان لهم مركز خاص فى المدينة وليس لهم عمل الا التأهب للقتال ويعيشون من عمل الطبقتين الثانية والثالثة . وكانت الطبقة الثانية مكونة من نحو ٣٠٠٠٠ شخص أحراراً انما ليست لهم حقوق سياسية يزرعون الارض ويتاجرون وربما كانوا من نسل أصحاب البلاد الاصليين الذين تغلب عليهم الدوريون أجداد الاسبرطيين . أما أقل الطبقات شأنا وان كانت اكثرها عددا فكانت طبقة الارقاء ويبلغ عددهم نحو ٢٠٠٠٠٠ .

الحكومة الاسبرطية

ذكر بلوتارخس صاحب التراجم الاغريقية والرومانية المشهورة ان الحكومة الاسبرطية من وضع مشرع اسمه ليكرجس عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد .

وكان فى اسبرطة ملكان يقومان بقيادة الجيش ويرأسان الحفلات الدينية

ولكن لم يكن لهم من الامر أكثر من ذلك، فان مجلس الشيوخ وأعضاؤه ثمان وعشرون من الاشراف كان أكبر منهما سلطة اذ كان من حقه وضع القوانين وبعد الانتهاء منها تعرض على مجلس عام من الاسبرطيين أهل الطبقة الاولى فقط. وكان ذلك المجلس العام يجتمع مرة فى الشهر الواحد ويختلف عن مثيله فى أثينا فى أنه لم يسمح فيه بالمناقشات. بل كل الامر ان أعضاءه يرفضون أو يوافقون. وقد سمح لهم بعد بانتخاب خمسة موظفين يعرف الواحد منهم باسم ايغور وكانت مهمتهم مراقبة سير الملوك والحكام. — الايغورس

كانت مدينة اسبرطة شبيهة بثكنة عسكرية؛ فلم تكن فيها عيشة منزلية اذ كان الرجال يتناولون طعامهم على موائد عامة. وكان الاطفال يؤخذون ويعرضون للبرد فى العراء، ومن سلم منهم تعهدت الدولة بتربيته تربية عسكرية محضة بعد بلوغه السابعة من العمر. وكانت الحكومة تتعمد تعويدهم تحمل الالم بلاشكوى فمن ذلك أن الاولاد كانوا يجلدون علنا فاذا أنَّ أحدهم سقط فى نظر رفاقه. ومن ذلك أيضا أنه كان يمنع عنهم الاكل فاذا وجد أحدهم يسرق طعاما عوقب على اخفاقه فى اخفاء السرقة عقابا قاسياً. ولم تهمل الحكومة الاسبرطية تعويد البنات على الالعاب العنيفة فكن فى اسبرطة على عكس مثيلاتهن فى أثينا حيث كانت البنات لا يقمن الا بالاعمال المنزلية ولا يختلطن بالرجال. — التربية الاسبرطية

بدأت الحرب فى عام ٤٥٩ ق. م. واستمرت الى ٤٤٥ ق. م. ولم ترجح فيها كفة فريق على كفة الفريق الآخر، وانتهت على ذلك بهدنة حددت مدتها بثلاثين سنة. — الحرب الاولى ٤٥٩–٤٤٥ ق.م.

وفى أثناء تلك الهدنة اتبعت اثينا سياسة خرقاء وأخذت حليفاتها بلاهوادة واشتطت معهن فى جمع الاتاوات. ولم تكتف بذلك بل تدخلت بين كورنثه واحدى مستعمراتها. استغاثت كورنثه باسبرطة ضد اثينا، فلبت اسبرطة الاستغاثة وقامت الحرب الثانية.

وصف هذه الحرب مؤرخان عظيمان لكتبهما قيمة كبيرة الى الآن هما ثيوسيديس وزينوفون. وقد مرت هذه الحرب فى أدوار ثلاثة: ينتهى الدور — الحرب الثانية تبتدئ عام ٤٣١ ق. م.

الاول فى ٤٢١ ق.م. أى بعد عشر سنين، ويستمر الثانى من ٤١٥ الى ٤١٤ ق.م. وفيه هُزِمت أثيناهزيمة بحرية عظيمة، وفى الدور الثالث اغارت اسبرطة على اثينا واستولت عليها فى عام ٤٠٤ ق م .

الدور الاول ٤٣١-٤٢١ ق.م.

اعتمدت اثينا على قوتها البحرية اذ أن جيشها كان أضعف كثيرا من جيش اعدائها . فعلى ذلك لما غزت اسبرطة الارض حول اثينا المعروفة باسم أتيكا اشار بريكليس على سكانها أن يتركوا قراهم ويلتجئوا داخل اسوار اثينا ، وفى أثناء ذلك هجمت السفن الاثينية على سواحل البلوبونيز وحاصرت كورنثه حليفة اسبرطة وقطعت تجارتها

ولكن ذلك لم يمنع الاسبرطيين من التقدم براً فى أتيكا حيث احرقوا الحرث والنسل كما فعل الفرس قبلهم . وقد روى المؤرخ تيوسيديس قطعة رثاء خالدة عن لسان بريكليس رثى فيها من سقط فى الحرب من الاثينيين ، ووصف فيها الحضارة الاثينية ومرامى السياسة الاثينية وصفا بليغا . وقد جاء فيها قوله « العالم باجمعه قبر العظماء وذكراهم منقوشة على صفحات القلوب لا على الاحجار » .

وقد أدى ازدحام اللاجئين فى اثينا الى انتشار طاعون فتك باكثر السكان ، وكان بريكليس نفسه من ضحاياه .

موت بريكليس ٤٢٩ ق . م .

وبعد موته استمرت الحرب ثمانية أعوام اخرى بلا نتيجة ظاهرة . وقد خلا الجو بموته فظهر فى اثينا زعماء وصلوا الى ماوصلوا اليه بتملق العامة والتغرير بهم . وقد سخر اريستوفانيس فى رواياته التمثيلية من هؤلاء الزعماء المضللين بالشعب . وانتهت الحرب عام ٤٢١ ق.م. كما تقدم .

السبياديس

ثم ظهر فى اثينا زعيم جديد هو السيبياديس من اقرباء بريكليس وكان طائشا نزقا أدت سياسته الى نشوب الحرب . وقد أشار بارسال حملة ضد سيراكيوز فى جزيرة صقلية . وقد اثبت ماحدث فساد رأيه فان الحملة الاثينية المكونة من ١٣٤ سفينة و ١٠٠٠٠ جندى باءت بالخذلان التام فقد تمكنت سيراكيوز بمساعدة اسبرطة من ارغام السفن الاثينية على التسليم ومن قتل

الحملة على سيراكيوز ٤١٥ ق . م .

قواد الجيش وأسر ٧٠٠٠ جندى وفر السيبياديس من غضب قومه ولجأ الى اعدائهم الاسبرطيين .

اسبارطة تغزو اتيكا

قضت هذه الضربة على قوة اثينا، فغزت اسبرطة ارض اتيكا ، ووجدت

تسليم اثينا ٤٠٤ق.م.

اثينا نفسها مجردة من القوة مُنْفَضَّةً عنها حليفاتها فسلمت فى عام ٤٠٤ ق.م. وتعهدت بتهديم حصونها والتخلى عن مستعمراتها وحالفت اسبرطة محالفة الضعيف للقوى . و بذلك انتهى ملك اثينا .

زعامة اسبرطة ٤٠٤ — ٣٧١ ق.م

وأصبحت اسبرطة زعيمة الاغريق ، ولكنها لم تتمكن من الاحتفاظ بزعامتها مدة طويلة؛ فقد كانت شديدة على الاغريق تسلك بهم طريق العسف فانتهزوا فرصة اشتباكها بفارس فى حرب عام ٣٩٤ ق . م. للاتحاد عليها تحت زعامة مدينة طيبة ، وهزموها فى عام ٣٧١ ق . م . بفضل القائد الطيبى العظيم ابا ميننداس فى واقعة لكترا ، وحلت محلها فى الزعامة طيبة .وانتهت الزعامة الطيبية بموت ابامينداس فى عام ٣٦٢ ق . م .

فشل الوحدة الاغريقية

مغزى ذلك كله ان اثينا ثم اسبرطة ثم طيبة فشلت فى تحويل الاغريق الى أمة متحدة ، وان الاغريق على تفوقهم العقلى لم يعرفوا كيف يوحدون صفوفهم حتى عند مادهمهم المقدونيون ، وان عظمتهم تتجلى فى فنونهم وآدابهم وفلسفتهم ولا تتجلى فى سياستهم فقد أظهروا فيها قصر نظر كبير وتغليبا للعواطف المحلية على مصلحة الجنس الاغريقى كله .

الفصل العاشر

عظماء كتاب القرن الخامس

قبل الكلام على زوال استقلال الاغريق على يد المقدونيين تجب الاشارة الى النهضة الفكرية التى امتاز بها القرن الخامس قبل الميلاد على سائر العصور .

أشهر مؤلفى الروايات التمثيلية أربعة : اسكيلس وسوفوكليس ويوريبيدس واريستوفانيس .

اسكيلس ٥٢٥ — ٤٥٦ ق.م

عاش اسكيلس فى ذلك العصر العظيم عصر الجهاد الوطنى ضد فارس وقد شهد بنفسه واقعتى ماراثون وسلاميس .

وأشهر رواياته ثلاث : « الفرس » و« اجاممنون » و« بروموثيوس المغلول » وموضوعها كلها كيف يحل غضب الآلهة بمن تكبر وبغى . فوصف فى « الفرس » مثلا كيف أذلت الآلهة اجزركسيس وخلصت أبناء هيلاس

سوفوكليس ٤٩٦ — ٤٠٥ ق.م

وقد ولد سوفوكليس بعد اسكيلس وفى حداثة سنه احرز قصب السبق عليه فى مباراة أدبية . ويقول بلوتارخس ان ذلك ساء اسكيلس وحداه على النزوح الى صقلية . ومن أهم روايات سوفوكليس « اديبوس تيرانوس » و « انتيجونى » وموضوعها قصص ملوك طيبة الاول وفلسفة سوفوكليس لا تختلف عن فلسفة اسكيلس .

يوريبيديس ٤٥٠ — ٤٠٦ ق.م

وكان يوريبيديس معاصرا لسوفوكليس وكان احب الكتاب للشعب وطبقت شهرته آفاق العالم الاغريقى ، وكان اجرأ من زميليه فشك فى الديانات القائمة وفى قدرة الآلهة وفى عملها على خير الانسان

اريستوفانيس ٤٥٠ — ٣٨٠ ق.م.

وقد تجلت روح الشك فى اريستوفانيس . واظهر مافى رواياته قدرته على السخرية : فسخر من كل من أراد حتى من الآلهة ، وتهكم حتى على يوريبيدس

نفسه . ولـكنه اختص باحد سهامه الزعماء الذين ظهروا بعد موت بريكليس و بيّن أن فصاحتهم جعجعة بلا طحن ، وكشف عن ضعة أصلهم وسوء رأيهم وتذبذبهم . وأشهر رواياته «السحب» و «الفرسان» و «العصافير» .

المؤرخون

وقد ظهر من المؤرخين هيرودوت وثيوسيديس وزينوفون

هيرودوت ٤٨٤ـ٤٢٥ ق.م

أما هيرودوت فقد سبق الـكلام عليه ، ويختلف عنه ثيوسيديس مؤرخ الحرب بين اثينا واسبرطة اختلافا كبيرا . فبينما كان هَمّ هيرودوت جمع الاخبار

ثيوسيديس ٤٧١ـ٤٠٠ ق.م

وعلى الأخص الغريب منها كان اكبر ما عنى به ثيوسيديس تحرى الاسباب وضبط الوقائع واستخلاص عبرها مع حسن تبويب و بلاغة فى التعبير .

زينوفون ٤٤٥ ـ ٣٥٥ ق.م.

عاش زينوفون فى عصر يوريبيديس وكان قائداً كما كان كاتباً . خرج فى عام ٤٠٠ ق . م . مع جماعة من الاغريق يبلغون عشرة آلاف رجل ودخلوا فى خدمة أحد الأمراء الفارسيين وكان فى حرب مع مليكه ، وانتهى الأمر بهم الى الجلاء عن فارس فتقهقروا حتى منابع الدجـلة فى الجبال ، ومنها وصلوا سواحل البحر الاسود بعـد أن قاسوا هولا كبيرا . وقد وصف ذلك التقهقر فى كتاب قيم . وله كتاب آخر خلد فيه ذكرى الفيلسوف سقراط .

الفلسفة

وللاغريق فى تاريخ الفلسفة مقام خاص .

فيثاغورس ٥٨٠ ـ ٥٠٠ ق.م

تقدم ذكر فيثاغورس ، وكان يعلم أن الارض كرية وأنهـا تدور حول

اناكساجوراس ٥٠٠ ـ ٤٢٧ ق.م

الشمس . ومن الفلاسفة اناكساجوراس وقد شك فى وجود الآلهة وقرر أن العقل هو منظم هذا الـكون . وبحث آخرون فى أصل المادة والعالم وجاء فى بحثهم كلام على التطور بين المخلوقات .

السفسطائيون

ومن الفلاسفة طائفة السفسطائيين وكانوا يشتغلون بتعليم اللغة والخطابة ولهم آراء خاصة فى الفلسفة . وقد مهدوا لظهور اكبر فلاسفة العـالم القديم : سقراط وافلاطون وأرسطو .

سقراط

كانت طريقة سقراط فى التعليم الحوار ، وكان دائما يحث على أن يسعى الانسان الى معرفـة كنه نفسه قبل أى شىء آخر ، ويهزأ بمن يقبل الاشياء على علاتها دون أن يحكم العقل . وكان سقراط يعتقد فى خلود النفس وفى أن

شكل (٢٢) سقراط

الكون يدبره آله . وسماسقراط فى تعليمه الخلقى سمواً كبيراً فلا فرق بين الاخلاق التى حث عليها والاخلاق التى حضت عليها الديانات العظمى

واتهم سقراط فى آخر أيامه بتضليل الشباب وحكم عليه بشرب كأس من السم ومات .

افلاطون ٤٢٧ — ٣٤٧ق.م

ومن تلاميذه افلاطون ، ترك بلاد الاغريق عند موت معلمه وجال فى بلاد الشرق و بعد عودته أخذ فى تعليم الفلسفة بطريقة الحوار . ومن مؤلفاته كتاب الجمهورية وهو من الكتب الخالدة

كتاب الجمهورية

ارسطو ٣٨٤ — ٣٢٢ق.م

وهو أكبر فلاسفة الحضارة القديمة ، وكان لآرائه تأثير كبير فى فلسفة الشرق والغرب . ويعرف عندالعرب باسم المعلم الاول . وقد بحث فى كل فروع الفلسفة من أخلاق وسياسة وعلوم طبيعية وأدبية وهكذا . وكان مربى الاسكندر الأكبر .

الفصل الحادى عشر

ظهور مقـــــــدونيا

فليب والاسكندر الاكبر

مقدونيا

تغلبت مقدونيا على المدن الاغريقية كما تقدم ، ولم يكن لها شأن قبل ملـكها فليب الثانى الذى حكم من سنة ٣٦٠ الى ٣٣٦ ق . م .

وهى بلاد جبلية تقع شمالى بلاد الاغريق وفيها سهول خصبة ، وسكانها أشداء ، لغتهم اغريقية وان كانوا فى نظر الاغريق أشبه بالاجانب عنهم لقلة رفاهيتهم وحضارتهم .

فليب الثانى ٣٦٠ — ٣٣٦ ق.م

مضى فليب صباه فى مدينة طيبة وتعلم فن الحرب على ابامينداس وتحضر بالحضارة الاغريقية . وأدرك أيضاً عن كثب ماعليه المدن الاغريقية من انقسام وما ساد بينها من شقاق . ولما تقلد الحـكم فى بلاده عزم أولا على تحضير قومه وثانياً على اخضاع سائر الاغريق لحـكمه ، وطمع فى آخر الأمر أن يقوم بحرب عظيمة ضد فارس فيغزو أرضها ويذلها .

الجيش المقدونى

ولتحقيق ذلك كون جيشاً فريداً فى نوعه إذ كان جيشاً نظامياً يختلف عن جيوش المدن الاغريقية المـكونة من متطوعين يعودون لمنازلهم اذا انتهت الحرب التى تطوعوا فيها . ثم عبأ هذا الجيش تعبئة تعلمها من ابامينداس ، وبها جعل قلب الفرقة الواحدة مكونا من ٥٠٠٠ جندى مصطفين صفوفا فى كل منها ١٦ رجلا ومسلحين برماح طويلة ، ووضع الفرسان فى الميمنة والميسرة . وكان فى الجيش أربع فرق من هذا النوع . وقد أحسن تدريبها حتى صارت الفرق تتحرك كأنها فرقة واحـدة . واهتم ايضاً بآلات الحصار وكان الاغريق لايستعملونها وان كانت قد استعملها الأشوريون قديما . وبهذا الجيش دوخ الاسكندر العالم .

اثينا وفليب

بدأ فليب بالمستعمرات الاغريقية فى شمالى بحر الارخبيل وتغلب عليها فأثار ذلك الاغريق . وكان فليب يحب الاثينيين فعرض عليهم صداقته ، ولكن الاثينيين لم يتفقوا على اجابة طلبه فبعضهم مال الى اكتساب وده وبعضهم نفر منه وعده عدواً يريد استعباد الاغريق.

شكل (٢٣) ديموسينيس

ديموسينيس

وكان على هذا الرأى ديموسينيس اخطب خطباء الاغريق . وله فى استنفار قومه خطب رنانة اجتذبهم بها الى رأيه ويعتبرها المؤرخون من أبلغ ما خلف الاغريق، ويتخذها الخطباء نموذجا ينسجون على منواله .

الخطب الفلبية

واقعة كيرونيا ٣٣٨ ق . م .

اتحدت اثينا وطيبة على فليب وقامت الحرب ، لكنه هزمهم فى واقعة كيرونيا عام ٣٣٨ ق . م . وكانت حاسمة . ولم يبق أمامه الا التغلب على اسبرطة .

وقد دعا فليب الأغريق الى مؤتمر فى كورنته ليبسط لمندوبيهم ما اعتزم عليه من الاغارة على فارس ولكنه قتل فى عام ٣٣٦ ق.م. قبل أن يتم هذا المشروع

الاسكندر

وخلفه ابنه الاسكندر وحقق كل مشروعات أبيه واكتسب بين عظماء الفاتحين اسما خالدا . كانت سنه وقت توليه العرش عشرين سنة . وكان ارسطو قد باشر تربيته منذ الثالثة عشر من عمره . وقد قرأ الاسكندر كل ما خلفه الاغريق من أدب وشب متشبعا بحضارتهم شديد التحمس لنشرها فى الخافقين .

شكل (٢٤) الاسكندر الاكبر

ثورة طيبة

أول ما تولى العرش أصغره الاغريق وثارت عليه مدينة طيبة ولكنه أخضعها ودمرها تماما وسبى أهلها وألقى بذلك على الاغريق درساً قاسياً .

الاغارة على اسيا

ولما تم خضوع الاغريق سار فى ربيع ٣٣٤ ق.م. نحو آسيا فعبر المضيقين البوسفور والدردنيل وهزم جيشاً فارسياً عند نهر جرانيكوس واستولى بذلك على المستعمرات الاغريقية فى آسيا الصغرى . ثم توغل فيها والتقى بالفرس مرة ثانية عند نهر اسس وكان الفرس يقودهم ملكهم دارا الثالث ولكن الاسكندر انتصر عليهم انتصاراً تاماً وفر دارا الى بلاده ليعد جيشاً جديداً واتجه الاسكندر جنوبا واخضع المدن الفينيقية . وقد قاومته مدينة صور ولم تسلم الا بعد حصار طويل

واقعة نهر جرانيكوس ٣٣٤ ق . م .

واقعة نهر اسس

حصار صور

فتح مصر

ثم سار نحو مصر وكانت اذ ذاك تحت حكم الفرس . وقد تمكن من فتحها بسهولة اذ لم ير المصريون ضررا فى الانتقال من حكم الفرس الى حكم المقدونيين . وفى مصر اسس مدينة الاسكندرية

تأسيس الاسكندرية

ثم ترك مصر وارتحل الى سوريا ومنها اتجه شرقا نحو فارس . وقد عبر الدجلة قرب اطلال نينوى وهزم الفرس مرة ثالثة فى واقعة اربل . وهرب ملكهم دارا ولكن قتله أحد رجاله .

واقعة اربل ٣٣١ ق . م .

انتصر الاسكندر ومزق ملك فارس ، فكأنه قد ثأر بذلك مما لحق الاغريق من دارا واجزركسيس .

ولهذا الانتصار أثر كبير فقد مهد الطريق لنشر الحضارة الاغريقية فى بلاد الشرق .

توغل الاسكندر فى فارس وحل محل ملوكها واستولى على نفائسهم وخزائنهم . ولم يكتف بذلك بل طمع فى الاستيلاء على الهند نفسها ، ونجح فى التغلب على افغانستان ونزل بجيوشه على السند ، ولكن رجاله أبوا التقدم لفرط ما لاقوا من التعب ، فاضطر الى الرجوع بهم

تنظيم الملك

عاد الى بابل فى عام ٣٢٣ ق . م . بعد سبع سنين قضاها فى فارس والهند وبدأ ينظم ملكه .

اتخذ بابل عاصمته وكان يرمى الى انشاء ملك مصطبغ بالصبغتين الاغريقية والشرقية . فتزوج بينت دارا الثالث وتبعه عسكره فتزوج كثير منهم بفارسيات ووظف الفرس فى وظائف الدولة المختلفة .

وكان الاسكندر يطمع فى مد ملكه حتى يشمل غربى البحر الابيض المتوسط . وبدأ فى صنع السفن اللازمة لاخضاع ايطاليا وصقلية وقرطاجنه . ولكن انتابته حمى ومات فى بابل فى الثالثة والثلاثين من عمره قبل أن يقوم بذلك .

انقسام ملك الاسكندر

وبعد موته بقليل انقسم ملكه أقساما ثلاثة تولى الأمر فيها قواده إذ كان ابنه صغيراً . وكانت هذه الاقسام مقدونيا وسوريا ومصر التى اختص بها بطليموس .

الفصل الثانى عشر

انتشار الحضارة الاغريقية

أهم ما نتج من فتوح الاسكندر الاكبر انتشار الحضارة الاغريقية فى بلدان الشرق القديم ، وكان لتلك الحضارة فى الشرق مراكز أهمها الاسكندرية عاصمة البطالسة الذين استقلوا بمصر وأعادوا لها رخاءها المادى وجعلوا لها اسما بين الدول . وسيُفرد للبطالسة فصل خاص .

دولة البطالسة

وكانت اثينا أيضاً مركزا آخر من مراكز الحضارة ، قامت فيها جامعة كبيرة ، واشتهرت فيها طائفة من الفلاسفة يعرفون باسم الرواقيين وكبيرهم الفيلسوف زينو . وقد حث زينو على كبح العواطف واستنكر الرق والقسوة وكان لتعليمه أثر كبير فى التاريخ . ومن فلاسفة اثينا أيضا ابيقور . وقداجتذب هؤلاء المعلمون التلاميذ من كل صوب ، واكتسبت اثينا فى أيام محنتها السياسية نفوذا فى العالم العلمى ، وحققت بذلك ما كان يرجوه بريكليس لها .

جامعة اثينا

زينو والرواقيون

ابيقور

برجامن مدينة من مدن آسيا الصغرى نالت استقلالها عن حكم مملكة سوريا وصارت مركزا من مراكز الحضارة الاغريقية ، وجمعت حكومتها مكتبة عظيمة وأقام بها عدد من رجال الفن خلفوا تماثيل قيمة

مدينة برجامن

واشتهرت جزيرة رودس أيضاً برجال الفن فيها ولكن لسوء الحظ لم يبق إلا القليل من آثارهم

جزيرة رودس

وكذلك أثينا كانت فيها أيضاً نهضة فنية من اعظم رجالها براكسيليس استقل سلوكس أحد قواد الاسكندر بسوريا وقامت فيها أسرة من نسله لم يكن لسوريا ما كان لمصر من الشأن أيام البطالسة ولكن السلوكيين اتبعوا سياسة الاسكندر ونشروا الحضارة الاغريقية نحو الشرق فانشئوا المدن فى آسيا الصغرى وارض الفرات والدجلة وفارس حتى حدود الهند على نمط المستعمرات الاغريقية الاولى . وكانت هذه المدن من وسائل نشر الحضارة .

براكسيليس فى اثينا

ملك السلوكيين فى سوريا

مملكة مقدونيا

كانت مقدونيا أقل من مصر وسوريا . ومن أشهر ملوكها انتيجونيس الثانى الذى دفع عن بلاده خطرا شديدا فقد رد عنها اغارة أقوام متبربرين قدموا من فرنسا واسمهم الغالة وذلك فى عام ٢٨٠ ق . م . وحكم خلفاؤه بعده الى ان سقطت مقدونيا فى أيدى الرومان .

بلاد الاغريق

أما المدن الاغريقية فى تلك الاثناء فقد قامت بينها احلاف من المدن تشبه الاحلاف التى قامت فى سويسرا فى العصور الوسطى . ولبثت كذلك الى أن سقطت كلها ودخلت فى حكم الرومان

الفصل الثالث عشر

دولة البطالسة

مميزات عصر البطالسة

لعصر البطالسة مميزات خاصة تجعله مغايراً لعصور الفراعنة : أول تلك المميزات أن الأسرة الحاكمة لم تكن من أصل مصرى بل كانت اغريقية . ولكن ليس معنى ذلك أن مصر لم تكن دولة مستقلة أو كان لغيرها سيادة عليها ، إذ أن أصل الاسرة الحاكمة لايهم فى ذلك وهذه انجلترة لم يحكمها منذ الفتح النرمندى فى عام ١٠٦٦ الى وقتنا الحاضر ملوك من أصل انجليزى . اذن من الخطأ أن نضع عصر البطالسة فى مصاف العصور التى حكم مصر فى أثنائها ولاة من قبل فارس أو روما أو الخلافة الاموية والعباسية أو الدولة العثمانية بل يجب اعتباره عصر استقلال كالعصور التى سبقت الفتح الفارسى فى عام ٥٢٥ ق . م . وحكم مصر فيها ملوك مصريون .

ومن تلك المميزات ظهور العنصر الاغريقى فى حضارة مصر أيامهم . حقيقة لم يكن ذلك أول عهد مصر بالاغريق فقد عرفتهم أيام ملوكها ابسماتيك وخلفائه ، ولكن لم يكونوا إذ ذاك الا تجاراً أو جندا مرتزقة ، ولم تكن مصر من مراكز حضارتهم ؛ أما فى أيام البطالسة فقد قامت لهم فيها حضارة باهرة .

ومن الموضوعات المهمة فى تاريخ البطالسة دراسة علاقة العنصرين المصرى والاغريقى احدهما بالآخر والبحث فى سياسة الملوك ازاء المصريين وفى موقف المصريين ازاء الحضارة الاغريقية .

فتح الاسكندر مصر

قبيل ذلك الفتح كانت مصر ولاية فارسية ، ولم يكن الحكم الفارسى سيئاً أو قاسيا كما يظن الناس ، ولكن المصريين لم يميلوا للفرس لسبب مهم هو أن الفرس لم يحترموا معتقدات المصريين الدينية احتراماً كافياً وان كانوا لم يحاولوا تحويلهم الى معتقدات أخرى . وفى هذا يختلف عنهم الاسكندر والبطالسة اختلافاً تاماً .

ضعف الفرس فى مصر بعدما أصاب دولتهم من الهزائم على يد الاسكندر فلما وصل هذا الفاتح العظيم الى حدود مصر الشرقية لم تعترضه مقاومة تذكر . ووصل الى منف وقرب القرابين الى ابيس وفتاح .

بعد ذلك ارتحل الى واحة سيوه وزار معبد آمون فيها . وقد يتساءل الانسان لِمَ لم يذهب لطيبة مقر عبادة آمون ويتمكن بذلك من أن يرى بنفسه حالة الوادى كله .

والظاهر انه أحب أن لا يثير الحسد فى نفس كهنة منف وانه أحب أن يزور الواحة ليكون على علم بحدود مصر الغربية ولكى يمر بنوقراطيس المستعمرة الاغريقية .

وفى سيوه دخل المعبد وقرب القرابين المعبود ولقبه الكهنة ابن آمون وقد قلده فى ذلك البطالسة بعده ولم يكن تأليه الملوك أو على الاقل الزعم أنهم من نسل الآلهة امراً شرقياً فقط فقد كان معروفاً للاغريق فى بلادهم .

تأسيس الاسكندرية

وعند عودته من سيوه اختط مدينة الاسكندرية بان وصل بين جزيرة صغيرة قريبة من الارض وقرية صغيرة على الساحل اسمها را كوتيس فتكون بذلك مرسيان أحدهما شرقى والآخر غربى .

وكان بالقرب من را كوتيس انخفاض من الارض موضع بحيرة مربوط يملؤه ماء النيل وقت الفيضان فكانت الاسكندرية بذلك ميناء نهرية أيضاً .

وبعد الفراغ من ذلك عاد الى منف عن طريق الصحراء واتجه نحو الشرق لاتمام فتوحه .

بطليموس الاول

ترك الاسكندر عند وفاته ابناً صغيراً وأخاً غير شقيق واقتسم قواده دولته فحكم مصر بطليموس أولا باسم ابن الاسكندر وأخيه . وفى سنة ٣٠٥ ق . م . لُقب بملك مصر .

والمعروف عن بطليموس أنه كان رجلا حازما سديد الرأى غير كبير الاطماع ، فكان حكمه بتلك الصفات موفقاً .

فتوحه

وقد قام بطليموس بحروب كثيرة انتهت باسترداده بعض أراضى فى

فلسطين وباستيلائه على جزيرة قبرص ، وكانت له السيادة البحرية فى البحر الابيض المتوسط . وكان من شأن ذلك ارتقاء التجارة المصرية فى ذلك البحر

سياسته الداخليه

لم تمنع تلك الفتوح بطليموس من الاهتمام بتنظيم بلاده وترقية شؤونها . ويقال إنه أسس دار كتب الاسكندرية ودار تحفها أو كان على الاقل صاحب المشروع .

ولم يكن بطليموس مولعاً بالنظم السياسية الاغريقية بمجالس شيوخها ومجالسها العامة ، فلم يمنح أهل الاسكندرية دستوراً من ذلك النوع ، ولكنه جعل لهم مركزاً يمتاز بعض الشىء عن المدن الاخرى .

بطليموس الثانى
٢٨٥ — ٢٤٧ ق . م

ولم تحدث فى مدة خلفه بطليموس الثانى حروب مهمة فانصرف الى تنمية ثروة البلاد ونشر العلوم .

التجارة

جدد القناة القديمة الواصلة بين النيل والبحر الاحمر وأعاد طريق القوافل الموصل بين البحر الاحمر والنيل عند قفط . فتقدمت تجارة مصر فى البحر الابيض المتوسط وفى البحار الشرقية مع بلاد العرب والهند والاحباش .

منارة الاسكندرية
٢٧٩ ق . م .

وقد بنى لهداية السفن منارة الاسكندرية المشهورة فى التاريخ وقد وصفها

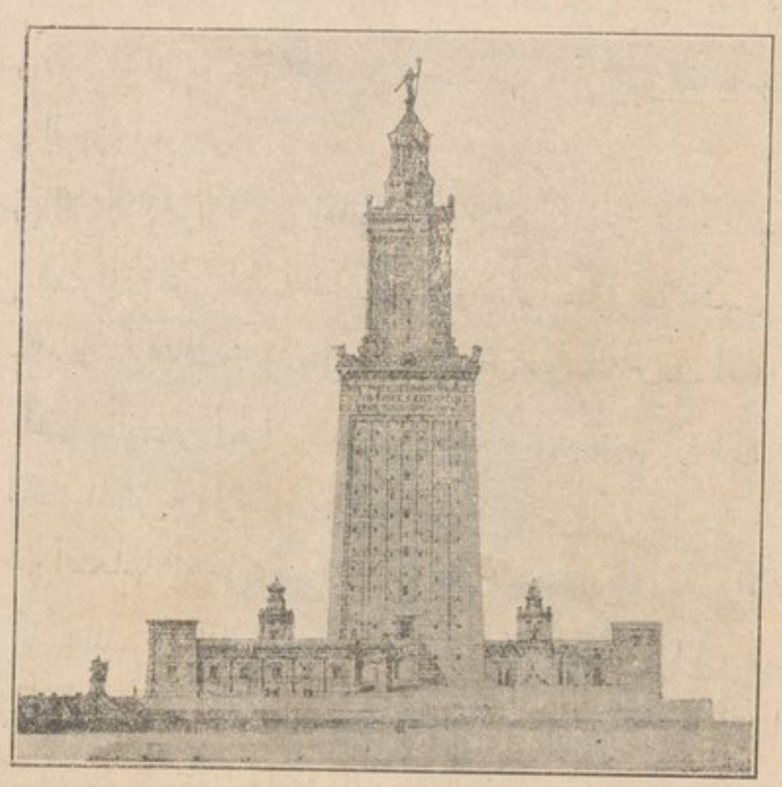

شكل (٢٥) منارة الاسكندرية كما كانت

سترابون بأنها كانت برجا ذا طبقات من حجر أبيض يشبه الرخام . وذكر يوسينوس ان نورها كان يرى ليلا على بعد ثلاثة وثلاثين ميلا من الشاطىء وكانت تبلغ من الارتفاع مائة متر . وقد دمرها زلزال فى عام ١٣٠٧ م .

دار الكتب ودار التحف بالاسكندرية

بنى بطليوس الثانى أو وسع هاتين الدارين العظيمتين وأصبحت بهما الاسكندرية ! كبر مراكز الحضارة الاغريقية .

ترجمة التوراة عن العبرية الى الاغريقية

ويقال إنه شجع ترجمة التوراة من العبرية الى الاغريقية ؛ والظاهر أنه لم يكن شىء من ذلك وان اليهود قاموا بذلك العمل من تلقاء أنفسهم لما وجدوا مواطنيهم فى الاسكندرية قد نسوا العبرانية .

تاريخ مانيثون

ويقال أيضاً إنه حمل مانيثون على كتابة تاريخه المشهور لملوك مصر القدماء

سياسته ازاء المصريين والاغريق

ولا يصح ان نستخلص من ذلك أن بطليموس الثانى وضع نصب عينيه إحياء الحضارة المصرية القديمة أو مزج العنصرين المصرى والاغريقى فى حضارة جديدة .

ولكن ذلك لا ينافى اهتمامه الشديد باكتساب حب المصريين وتنمية ثروة مصر فاقام المبانى وشيد الهياكل لمعبوداتهم ومن أشهر مبانيه جزء من قصر انس الوجود المعروف .

ومعنى الاكثار من المبانى العظيمة أن الشعب يسترد جزءاً كبيراً مما يدفعه من الضرائب التى تجمعها الحكومة . ومعناه أيضاً تربية الشعب تربية فنية عظيمة . وليس هناك ما يدل على ان بطليموس سخر الناس فى اقامة مبانيه

وقد اهتم بطليموس أيضاً بالاغريق وأقطع جنوده منهم ارضا فى الفيوم ولكنه لم يظلم المصريين لاجلهم . فليس هناك ما يدل على أنه انتزع الارض فى الفيوم من أصحابها أو على وقوع النزاع بين العنصرين فى ذلك الاقليم .

بطليموس الثالث

وفى أيام بطليموس الثالث امتد ملك مصر فشمل برقة أو طرابلس وسوريا وبلاد النوبة . ومن مبانى هذا الملك الشهيرة معبدا ادفو ودندره . ولكن ذلك الملك الواسع لم يدم بل ضعفت مصر نفسها بعد بطليموس الثالث ، وبلغ من ذلك انها دخلت

اضمحلال البطالسة

فى حماية الجمهورية الرومانية. وقد بدأت اذ ذاك تتغلب على ممالك البحر الابيض المتوسط ، وانتهى الأمر بدخولها فى حكم الدولة الرومانية كما سيأتى بعد .

الحضارة أيام البطالسة
دار الكتب ودار التحف

تعتبر دار التحف بمثابة جامعة تدرس فيها العلوم المختلفة ويقوم فيها العلماء بالبحوث العلمية الراقية . ومن هؤلاء العلماء اقليدس الذى وضع قواعد الهندسة

اقليدس

ومنهم ارخميديس العالم الطبيعى الذى لم يقم فى الاسكندرية ولكن كان على اتصال تام بعلمائها . ومنهم ايراتثونيس الذى قاس طول محيط الكرة الارضية ورسم خريطة للعالم .

ايراتثونيس

شكل (٢٦) العالم كما رسمه ايراتثونيس

شكل (٢٧) العالم كما رسمه بطليموس

الطب

ومن الدراسات العالية بالاسكندرية دراسة الطب وقد التحق بها عدد كبير من الطلبة وقام علماء الطب بابحاث مهمة

اجرومية ديونيسيوس

ومن اكبر ثمار تلك النهضة وضع ديونيسيوس لقواعد الاجرومية الاغريقية وقد أثرت فى اجروميات اللغات الاخرى .

واما دار الكتب فكانت تحتوى على اكثر من نصف مليون مجلد، وقد حفظت هذه المجلدات علم الاغريق وآدابهم إذ من مجلدات الاسكندرية قبل احراقها نسخ النساخون المؤلفات الاغريقية

احراق مكتبة الاسكندرية

ويقال إن تلك المكتبة احرقت يوم تغلب يوليوس قيصر الرومانى على الاسكندرية أو عند فتح العرب مصر . والظاهر أن محتويات المكتبة كانت قد تبددت على توالى العصور بحيث لم يبق منها يوم احراقها الاجزء مما كان فيها

الادب الاغريقى

كانت فى الاسكندرية نهضة ادبية اغريقية ومن أشهر من ظهر من الكتاب ثيوكريثوس .

وجملة القول أنه كانت أيام البطالسة حضارة باهرة إلا أنه يسهل المبالغة فى وصف تلك الحضارة . وقد كتب الفيلسوف الرومانى سنكا أن بعض البطالسة قصدوا فى انشاء الدور العلمية الى التباهى، واستشهد على ذلك بان العلماء فى عهد البطالسة الاواخر كان معظم همهم منصرفاً الى تسلية هؤلاء الملوك الضعفاء

المصريون والحضارة الاغريقية

كان للمصريين ايام البطالسة بعض حضارتهم القديمة . وقد احتفظوا بما ورثوه عن آبائهم ، ولم يكن للحضارة الاغريقية سبيل اليهم . فكانت معاهد الاسكندرية دورا أجنبية فى أرض مصرية . وليس معنى ذلك أن المصريين كانوا شعبا مهانا فقد كان لهم حتى فى الاسكندرية مع كثرة الاغريق والاسرائيليين بها صوت مسموع .

الباب الثالث

روما

الفصل الاول

عصر الملوك (٧٥٣ — ٥٠٠ ق.م.)

النزاع بين الاشراف والعامة

اصل الايطاليين

تقدم القول كيف ارتحلت القبائل الساكنة فى الارض شمالى بحر قزوين الى سهول أوربا الوسطى ومنهـا أغار بعضها على شبه جزيرة البلقان وبعضها على شبه جزيرة ايطاليا .

من تلك القبائل كانت قبيلة الايطاليين وقد استقرت فى الاجزاء الوسطى والجنوبية من شبه الجزيرة وفى جزيرة صقلية . وتاريخها فى الألف والخمسمائة السنة التى تلت اغارتها على ايطاليا غير معروف ، وليس لدينا منه الا بعض خرافات لا يمكن الاعتماد عليها .

الخرافات

شبه الجزيرة وقت قدومهم

لم تكن فى ايطاليا وقت قدوم أولئك المغيرين حضارة مثل التى وجدها الاغريق فى بحر الارخبيل . والظاهر أن قدومهم أحدث اضطراباً فى شبه الجزيرة فغادرها بعض السكان الاصليين ، وربما كان منهم من خدم فى الجيوش المصرية فقد وجدوا فى الآثار المصرية التى ترجع الى القرن الثالث عشر رسوماً ربما كانت رسومهم

سكان ايطاليا الآخرون

وكان فى ايطاليا غير الايطاليين ثلاثة أجناس أخرى :

١ ـ الاتروريون

أولها الاتروريون وموطنهم بلاد اتروريا وهى أرض فى شمالى ايطاليا . ولا يعرف المؤرخون أنى أتوا . وقد يكونون هم القوم البحريين الذين أغاروا على الدلتا ورسم المصريين صورهم .

٢ ـ القرطاجنيون

وكان هناك أيضا القرطاجنيون وهم كما تقدم من أصل فينيقى وكانوا ذوى تجارة ودراية كبيرة بالملاحة . وكانت لهم فى صقلية مستعمرة

٣ ـ الاغريق

أما الجنس الثالث فكان الاغريق اعداء القرطاجنيين ومستعمراتهم فى صقلية وجنوبى ايطاليا وأشهرها سيراكيوز . ومن هؤلاء الاغريق تعلم الايطاليون بعض اصول الحضارة

ولم يكن الايطاليون شعباً موحدا تحت حكم واحد بل كانوا منقسمين الى قبائل دائمة التحارب . ومن تلك القبائل اللاتين وقد سكنوا فى سهل لاتيوم جنوبى نهر التيبر . وحوالى عام ٧٥٠ ق . م . تغلب الاتروريون على اللاتين

اللاتين

الاتروريون يحكمون اللاتين

وكانت قاعدة الحكم الاتروري حصناً على جبل البلاتين عرف بعد باسم روما . وبدأ بالحكم الاتروري العصر الملكى فى تاريخ روما . وعلى ذلك فملوك روما الاول كانوا اتروريين . ولا سبيل حينئذ الى قبول رواية قصة روميلوس وريموس عن تأسيس مدينة روما .

تأسيس روما عام ٧٥٣ ق.م.

حكم روما الملوك الاتروريون من عام ٧٥٣ الى ٥٠٠ ق. م. ولا يعرف المؤرخون كثيرا عن عصرهم.

والظاهر أنه فى ذلك العصر تحضر اللاتين بعض التحضر فأخذوا عن تجار الاغريق الحروف الهجائية والنقود المسكوكة والمعتقدات الدينية فنجد لكل معبود أغريقى معبودا يعادله فى الدين الرومانى فمثلا جوبيتر يقابل زيوس عند الاغريق وهكذا

طرد الملوك عام ٥٠٠ ق.م.

وحوالى عام ٥٠٠ ق . م. أدت قسوة الملوك واستبدادهم وعلى الأخص سوء سيرة آخرهم تاركوينيوس سوبربوس الى قيام الرومان ضدهم . فطردوا الملوك وأقاموا جمهورية ارستقراطية أى أن الحكم فيها فى أيدى الاشراف

القنصلان

إذ كانوا هم زعماء الثورة ضد الملوك . وفى تلك الجمهورية كانت السلطة العليا فى يد رجلين يلقبان بالقنصلين ويتجدد انتخابهما آخر كل عام ، ولا ينتخب للقنصلية إلا شريف .

النزاع بين الاشراف والعامة

التربيون

قسا حكم الاشراف فقام نزاع طويل بينهم وبين العامة وحصلت العامة بعد جهد كبير على حق انتخاب موظفين يعرف الواحد منهم بالتربيون لحمايتها فكان للتربيون أن يرفض الموافقة على عمل أى موظف من موظفى الدولة حتى القناصل وينتصف للعامة بذلك اذا وقع بها حيف .

تعدد وظائف الدولة

فى أول عهد الجمهورية كان القناصل يقومون بوظائف الدولة فكانوا يقودون الجيش ويدبرون المال ويقضون بين الناس ولكن لما كبرت روما وزادت اعمال الحكومة ضيق من دائرة اختصاص القناصل وقام ببعض وظائفهم موظفون آخرون . فاختص بأمور المالية الكويستر ، وبالاحصاء وتقدير الضرائب وتحرير كشوف المنتخبين ومراقبة سلوك الناس السنسور ، وبالقضاء البريتور .

الكويستر

السنسور — البريتور

السناتو

وكان فى نظام الجمهورية مجلس يجلس فيه الشيوخ اسمه السناتو يتولى القناصل بالنصح والارشاد .

ادوار النزاع بين الاشراف والعامة

دام النزاع مائتى سنة وانتهى بتساوى الاشراف والعامة فى الحقوق .

الالواح الاثناعشر حوالى ٤٥٠ ق.م.

أول ماطلبت العامة هو تدوين القوانين حتى يعرف كل انسان ما له وما عليه . ونجحت فى ذلك ، فدونت القوانين المعروفة بالالواح الاثنى عشر

الكوميتيا تربيوتا

وطلب رجال العامة بعد ذلك أن يكون لهم صوت فى وضع القوانين أى فى التشريع ، وتمكنوا من أن يكون لهم مجلس عرف باسم الكوميتيا تربيوتا أى مجلس القبائل ويرأسه التربيون .

الكوميتيا سنتريانا

وعدا هذا المجلس كان هناك أيضاً المجلس المئوى أو الكوميتيا سنتريانا وفيه تجتمع العامة على حسب المئات المنتظمين فيها . وفى أول الأمر كانت للأشراف القوة فى ذلك المجلس ولكن العامة نجحت فى التساوى بهم فيه .

ثم حصلت العامة أيضا على نصيب أوفر مما كان لها من الأراضى العامة وعلى

حق التزوج كما تشاء وعلى حق المتاجرة . ثم بعد ذلك حصلت على حق الانتخاب لوظائف السنسور والبريتور والقنصل .

الاشراف الحديثون

بعد ذلك التساوى التام قامت فى روما اسرات شريفة ولكنها من أصل عامى . وقد حرم رجال هذه الاسرات زمنا طويلا الجلوس فى السناتو ولكنهم نالوا هذا الحق أخيراً .

السناتو الجديد

وأصبح بذلك السناتو مكونا من ٣٠٠ عضو من خيرة رجال روما حنكة ودراية بالأمور وتحت ارشاد السناتو علا شأن روما فصارت سيدة ايطاليا ثم سيدة العالم .

الفصل الثاني

روما سيدة ايطاليا

التحالف مع اللاتين

لم تكن روما فى أول أمرها الا مدينة صغيرة تحكم أرضا لا يزيد اتساعها على بضعة أميال . وأول ما عملت روما لتوسيع ملكها كان تحالفها مع اللاتين وقد قرر السناتو أن يكون للاتين معظم ما للرومان من الحقوق فأصبح بذلك لحلفاء روما باعث قوى على الارتباط بها .

الاتروريون

واكبر خطر على روما وحلفائها كان من ناحية الاتروريين ولكن لحسن حظ الجمهورية الناشئة وقع الاتروريون فى حرب مع سيراكيوز الاغريقية. وفى عام ٤٧٤ ق.م دمرت سيراكيوز قوة الاتروريين البحرية . ثم دهم الاتروريين

الغالة

أيضاً عدو آخر : وذلك ان قبائل الغالة اغارت على شمالى ايطاليا ونهبت مدن

الاستيلاء على مدينة رفى عام ٣٩٦ ق.م.

الاتروريين فضعفوا بذلك ، وتمكن الرومان من الهجوم على بلادهم والاستيلاء على مدينتهم رفى وذلك فى عام ٣٩٦ ق. م.

كذلك تمكن الرومان أيضا من رد بعض القبائل الايطالية عن أرضهم .

الغالة فى روما عام ٣٩٠ ق. م.

ولكنهم وقعوا فى خطر عظيم : وذلك أن قبائل الغالة التى ذكرنا اكتساحها لمدن الاتروريين هجمت على روما واستولت عليها فى عام ٣٩٠ ق. م. غير ان الغالة لم يمكنهم التغلب على حصنها وقبلوا بعد حصار طويل ان ينجلوا عن روما فى مقابل مبلغ من المال . فارتدوا عن روما واستقروا فى وادى نهر البو .

الحلف اللاتينى

نجح الرومان فى اجلاء الغالة ولكنهم خشوا تجدد الاغارة فبنوا حول مدينتهم سورا يحميها وأمعنوا فى قتال الاتروريين والتغلب على مدنهم فقلق اللاتين لتلك السياسة وأوجسوا خيفة من ازدياد قوة الرومان فحاولوا ان ينفصلوا عنهم تماما ، ولكن الرومان نجحوا فى اخضاعهم بعد حرب دامت عامين أصبح اللاتين فى نهايتها رعية رومانية لا أحلافا

السامنيون

ثم اتجهت أنظار روما نحو الايطاليين الآخرين ويعرفون بالسامنيين

ويسكنون أرض سامنيوم فى الجنوب الشرقى من روما ولا اتصال لها بالبحر
وكان السامنيون أشداء هزموا الرومان مرارا وتحالفوا عليهم مع الاتروريين
سنتينوم ٢٩٥ ق.م والغالة ولكن روما انتصرت عليهم جميعاً فى واقعة حاسمة هى واقعة سنتينوم فى عام ٢٩٥ ق. م و بعدها صارت روما أقوى دول ايطاليا تتحكم فى شمالها ووسطها وارغمت الاتروريين والسامنيين على محالفتها .

المدن الاغريقية فى ايطاليا بذلك الانتصار امتد نفوذ الرومان الى حدود المدن الاغريقية فى ايطاليا ولم تكن تلك المدن خاضعة لحكم واحد بل كانت فى حروب مستمرة . وكانت
تارنتم مدينة تارنتم الواقعة فى أقصى الجزء الجنوبى من ايطاليا اكبر تلك المدن . وقد
بيروس تخوف أهلها من ارتفاع شأن روما فاستغاثوا بالملك بيروس ، وكان يحكم الابيروس على الساحل الشرقى للبحر الادرياتيكى . فلبى بيروس النداء لانه كان يطمح فى تكوين حلف من الاغريق الساكنين فى ايطاليا وصقلية ، وعبر البحر الى ايطاليا . وكان له جيش مدرب عظيم وله دراية بفن الحرب اكتسبها من القائد الطيبى الكبير ابا منتداس وفيليب المقدونى . فهزم الرومان فى واقعتين كبيرتين فى عامى ٢٨٠ و ٢٧٩ ق. م. ثم تغلب على جزيرة صقلية . فأثار ذلك عليه القرطاجنيين ولهم فى صقلية مستعمرات فجهزوا أسطولا لمساعدة روما ضده . فعول بيروس على الرجوع لبلاده لما رأى أنه لن يمكنه الاستيلاء على روما بعد أن هزمته جيوشها فى واقعة بنفنتم ، ولما رأى ان لا سبيل لجمع كلمة الاغريق بعد أن ألفوا التفرق عهدا طويلا

وبعد عودته خضعت المدن الاغريقية لروما الواحدة تلو الاخرى وأصبحت روما سيدة ايطاليا و بدأت الكفاح مع قرطاجنة للسيادة فى البحر الابيض المتوسط .

الفصل الثالث

الكفاح بين روما وقرطاجنة

٢٦٤ — ١٤٦ ق. م.

قوة قرطاجنة

وجدت روما فى قرطاجنة عدوا أشد كثيراً من الاتروريين والسامنيين والاغريق، إذ كانت قرطاجنة أقدم من روما عهدا بسياسة الملك، يرجع تأسيسها الى عام ٨١٤ ق. م. ولها مستعمرات فى افريقية وصقلية واسبانيا وكورسيكا وسردينيا وجزر البليار، ولها تجارة عظيمة وقوة بحرية كبيرة. ولم يكن لروما قوة بحرية، ولم يكن لها من الغنى ما للقرطاجنيين.

قوة روما

ولكن الرومان كانوا أقوى براً وكانوا وإن اعوزهم المال أتم نظاما من خصومهم وأطوع منهم لقوادهم.

وكان جيشهم مكونا من رومان أحرار يزرعون الارض ولا سيد لهم إلا القانون سيد الجميع من كبير وصغير على حين كان القرطاجنيون لا صوت لهم فى ادارة شؤون بلادهم، إذ ان الحكم فى بلادهم كان فى يد التجار الاغنياء يملكون معظم الارض و يزرعها لهم ارقاؤهم.

وكان الحكم الرومانى فى ايطاليا قائما على حسن معاملة سكانها فأخلص هؤلاء له وقت محنة روما. أما الحكم القرطاجنى فقد قام على استعباد الشعوب فلم تملك قرطاجنه قلوب رعيتها ولم تأمن لها، واضطرت الى تجنيد المرتزقة من كل الشعوب.

الحرب البونية الاولى ٢٦٤ ق.م.

قامت الحرب الأولى المعروفة بالبونية أو الفينيقية فى عام ٢٦٤ ق. م. وذلك أن مدينة مسينا فى جزيرة صقلية كان يحاصرها هيرو صاحب سيراكيوز واستغاثت مسينا بروما وهيرو بقرطاجنة فتدخل القرطاجنيون واستولى قائدهم هانو على حصن مسينا وتدخل الرومان و بدأت الحرب.

فى عام ٢٦٣ ق. م. ترك هيرو جانب القرطاجنيين وانضم للرومان وتمكن الفريقان من الاستيلاء على الجزء الشرقى من صقلية . ولكن لما لم يكن لروما قوة بحرية اكتسح القرطاجنيون سواحلها ودمروا تجارتها فلم تجد روما بداً من بناء اسطول وحدث إذ ذاك أمر غريب هو انتصار الرومان فى البحر على قلة خبرتهم به وهزيمتهم براً على طول عهدهم بالحرب البرية .

بناء الاسطول الرومانى

وفى آخر الامر تراضى الفريقان على الصلح ، فدفعت قرطاجنة غرامة كبيرة وتركت للرومان معظم صقلية والجزر المجاورة لها . فكان ذلك أول فتوح الرومان خارج ايطاليا

الصلح

لم يكن ذلك الصلح الا هدنة مؤقتة ، فقامت الحرب لما احتل الرومان سردينيا وكورسيكا فى عام ٢٣٨ ق. م. فقام القائد القرطاجنى هاملكار بتجهيز قوة كبيرة فى اسبانيا للاغارة بها على ايطاليا ، ولكنه قتل قبل اتمام مشروعه فقام من بعده قائد آخر اسمه هاسدروبال لاكمال العدة وقتل أيضاً فقام محله هانيبال اكبر أبناء هاملكار ، وكان اذ ذاك فى التاسعة والعشرين وله فى التاريخ الحربى ما لقيصر ونابليون من المقام العظيم .

الحرب البونية الثانية

هاملكار فى اسبانيا

هانيبال

ترك هانيبال اسبانيا فى عام ٢١٨ ق. م. بجيش يزيد على (المائة الألف) من مشاة وفرسان ، وتقدم براً واجتاز جبال الألب ونزل على سهول ايطاليا الشمالية . وقد اختار تلك الخطة المحفوفة بالمصاعب لخوفه من الاسطول الرومانى ولرغبته فى الاستعانة بالغالة وغيرها من القبائل المتبربرة النازلة فى تلك الجهات .

اغارته على ايطاليا

تغلب هانيبال على الجليد والبرد ومنع المتبربرين من تعطيل حركته واجتاز الجبال ، ولكنه فقد فى ذلك جزءاً كبيراً من جيشه وعلى الرغم من ذلك هزم الرومان فى واقعتين متتاليتين واستولى على شمال ايطاليا وجند من المتبربرين عدداً كبيراً .

استيلاؤه على شمالى ايطاليا

وفى عام ٢١٧ ق. م. اجتاز جبال الابنين وتقدم على روما فأسرع القنصل فلامنيوس لملاقاته . ولم يكن القنصل ماهراً فوقع فى كمين نصبه له هانيبال عند بحيرة ترازيمين وهزم الرومان فى أرض ضيقة بين جبلين فى يوم انتشر فيه الضباب

انتصاره عند بحيرة ترازيمين

لم يفقد الرومان شجاعتهم بل وضعوا السلطة كلها فى يد رجل واحد هو فابيوس مكسيموس . وكان هذا يرى أن الأزمة شديدة ولكن لاداعى للقنوط إذ أنه كان يعلم أن هانيبال لا يملك شيئاً من آلات الحصار ، وأنه ليس لديه مايتمكن به من تجديد قوته ، على شرط أن يمنعه الاسطول الرومانى من الاتصال بقرطاجنة. فكانت الخطة المثلى فى نظر فابيوس هى أن يتجنب الرومان الوقائع الحاسمة و يكتفوا باجهاد هانيبال الى أن ينتهى الأمر به بالجلاء عن ايطاليا .

خطة فابيوس

ولكن الرومان ملوا الصبر ، وهاجهم اكتساح هانيبال ارضهم وفابيوس هادىء لاينزعج ولا يتعجل الأمور ، فعرفوه بفابيوس المؤجل وعينوا بدله قنصلين وجهزوا جيشاً عظيما .

ولكن هانيبال أوقع بذلك الجيش وهزمه شر هزيمة فى واقعة كانى وقتل من الرومان عدداً كبيراً . وتحالف مع فليب ملك مقدونيا الذى تعهد بانزال جيش على ساحل ايطاليا الشرقى وانضمت الى هانيبال سيراكيوز حليفة روما القديمة . وصار بذلك للقرطاجنى الأمر فى جنوبى ايطالية وصقلية

واقعة كانى ٢١٦ ق.م

هانيبال يستولى على جنوبى ايطاليا وصقلية

ولكن الرومان لم تطر قلوبهم شعاعاً ، بل أخذ السناتو فى تجهيز جيوش جديدة وجند الكل حتى الارقاء والصغار . و بدأت الجنود الرومانية تسترد مافقدته . وتحققت صحة رأى فابيوس فان هانيبال على الرغم من عظم انتصاره لم يتمكن من تجديد جيشه فلم يقوعلى منع روما من استرداد سيراكيوز فى عام ٢١٢ ق . م . ومن فرض جزية كبيرة عليها ومن فتح جزيرة صقلية كلها

فتح سيراكيوز

وفى تلك الاثناء كانت الحرب قائمة فى اسبانيا بين الرومان والقرطاجنيين ولما حاول هاسدروبال أخو هانيبال ترك اسبانيا لمساعدة أخيه هزمه القائد الرومانى سيبيو هزيمة كبيرة فى عام ٢١٧ ق . م .

الحرب فى اسبانيا

أخذ هانيبال بعد ذلك يرى أن لا خلاص إلا اذا أمدته بلاده بالرجال والعدة ولكن القرطاجنيين كانوا قد ملوا الحرب وأخذوا يفكرون فى عقد الصلح. ثم تخلى فليب المقدونى عن محالفتهم وانحاز الى روما فى عام ٢٠٥ ق . م . ولما تمكن

حرج موقف هانيبال

جيش قرطاجنى تحت قيادة هاسدروبال من الوصول لايطاليا هزمه الرومان عند نهر متوروس فى عام ٢٠٧ ق . م . وقتلوا قائده .

سيبيو

ظهر فى اسبانيا أثناء ذلك القائد الكبير سيبيو وعند عودته الى بلاده انتخب قنصلا وغزا قرطاجنة نفسها بجيش فاضطر القرطاجنيون الى استدعاء هانيبال فى عام ٢٠٣ ق . م. بعد خمسة عشر عاماً قضاها فى ايطاليا

واقعة زاما عام ٢٠٦ ق . م .

تقابل هانيبال وسيبيو فى واقعة زاما بالقرب من قرطاجنة وانتصر الرومان وقبلت قرطاجنة الشروط الرومانية وهى دفع غرامة كبيرة وجزية سنوية وتسليم اسطولها عدا عشرين سفينة والنزول عن مستعمراتها فى اسبانيا

نهاية هانيبال

غادر هانيبال بلاده على اثر ذلك وقصد الى الشرق ليثير العداء على الدولة الرومانية ولما وجد من لجأ اليه يريد تسليمه لروما سم نفسه فى عام ١٨٣ ق. م.

الحرب الثالثة

خرجت قرطاجنة من الحرب الثانية مخذولة ولكن بقى لها استقلالها وتجارتها فأمكنها فى خلال خمسين سنة اعادة ما كان لها من الرخاء القديم على الرغم من الجزية السنوية ، فساء ذلك فريقا قويا من أعضاء السناتو كان يرى أن لاحياة لروما الا اذا قضت على عدوتها تماما . ومن أنصار ذلك الرأى «كاتو» وقد اعتاد أن يختم خطبه بكلمة ذهبت مثلا فى اللغات الاوربية « لا بد من تدمير قرطاجنة »

« لابد من تدمير قرطاجنة »

وفى عام ١٤٦ ق . م . سنحت فرصة لتحقيق ذلك الرأى وذلك ان القرطاجنيين وقعوا فى حرب مع جيرانهم سكان نوميديا حلفاء روما ، فأعلنت هذه الحرب وبعد ثلاث سنين استولت على قرطاجنة وعفت آثارها وحولت أرضها الى ولاية رومانية اسمها افريقيا .

تدمير قرطاجنة

أصبحت روما ولا منافس لها فى البحر الابيض المتوسط ، وامتلكت اسبانيا وصقلية وأرضا فى افريقيا الشرقية .

نتائج الحروب البونية

وثبتت دعائم ملكها فى ايطاليا فهزمت المتبربرين الساكنين فى الشمال وأوصلت حدوده الى جبال الالب وعاقبت المدن التى انحازت الى جانب القرطاجنيين وجعلت أرض تلك المدن ملكا لها ووزعته بين صغار المزارعين.

ولكن الحروب الطويلة انهكت قواها : فقد قتل فيها خيرة شباب ايطاليا فقلت الايدى العاملة واضمحلت الزراعة لانصراف الفلاحين الى الخدمة العسكرية ، فنتج من ذلك حلول الارقاء محل الاحرار فى فلاحة الارض وتجمعُ المزارع الصغيرة فى ضياع كبيرة يملكها الاغنياء

الفصل الرابع

فتوح الرومان فى مقدونيا وآسيا

٢١٥ — ١٦٨ ق . م .

الحالة فى الشرق

رأينا كيف انقسمت دولة الاسكندر ثلاثة أقسام : مصر ويحكمها البطالسة ، وآسيا أو سوريا ويحكمها السلوقيون ، ومقدونيا . أما المدن الاغريقية فقد كونت أحلافا

مقدونيا

كانت مقدونيا أولَ هذه الاقسام وقوعا فى الحكم الرومانى وذلك أن ملكها فيليب الخامس حالف هانيبال فى أثناء الحرب البونية الثانية . فقام العداء بذلك بين روما ومقدونيا وانقسم الاغريق الى فريقين فريق انحاز الى روما والآخر الى فيليب . ولم تحدث فى تلك الحرب وقائع ذات بال اذ كان الرومان منصرفين الى حرب هانيبال وكان فيليب غير قادر على اعانة حليفه اعانة جدية فعقد الصلح بين الدولتين فى عام ٢٠٥ ق . م .

الحرب المقدونية الاولى ٢١٥ — ٢٠٥ ق . م .

الحرب الثانية ٢٠٠ — ١٩٧ ق . م .

ثم قامت الحرب الثانية لما هاجم فيليب أثينا واستغاثت هذه بروما . ولم يُغنه تحالفُه مع ملك آسيا و بعض المدن الاغريقية ، فهزمه الرومان وجردوه من ممتلكاته فى آسيا الصغرى وجزر الارخبيل وشبه جزيرة البلقان ، ولم يتركوا له إلا مقدونيا نفسها . بذلك تخلصت الأحلاف الاغريقية من نفوذ مقدونيا ولكنها دخلت فى حماية روما .

الحرب بين روما وانتيوخوس ملك آسيا ١٩١ ق . م .

ولما حاول ملك آسيا انتيوخوس الاعتداء على مصر وعلى الاحلاف الاغريقية فى آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان أعلن الرومان عليه الحرب وأرغموه على مغادرة بلاد البلقان .

روما سيدة الاغريق

لم يستقل الاغريق بذلك فان روما حلت أحلافهم و بسطت عليهم سيادتها

تقسيم آسيا الصغرى وسياسة روما

وتبع الرومان انتيوخوس الى آسيا الصغرى وأزالوا سلطانه عنها ، ولكنهم لم يضموها لملكهم بل قسموها بين اصدقائهم رودس وپرجامون . ويدل ذلك

يتبع

على أن الرومان لم يكن قصدهم التوسع فى الملك بل تكوين دول قوية يمكنها الدفاع عن نفسها . وفى عام ١٨٨ ق . م . جلا الرومان عن آسيا اعتمادا على قوة حلفائهم .

برجامون ولاية رومانية

وفى عام ١٣٣ ق . م . أوصى ملك برجامون بملكه لروما فصارت برجامون ولاية آسيا الرومانية وأول أرض امتلكتها روما شرقى بحر الارخبيل .

الحرب المقدونية الثالثة ١٧١ - ١٦٨ ق م

وقبل ذلك كانت مقدونيا قد فقدت استقلالها . وذلك أن مقدونيا نهضت واستنفرت الاغريق واستحثتهم على الثورة باسم الاستقلال فقامت الحرب الثالثة وانتصر الرومان فى واقعة بيدنا وقسمت مقدونيا أربعة أقسام تخضع لروما . ولما حاولت التخلص من ذلك الخضوع فى عام ١٤٨ ق . م . حولتها روما الى ولاية رومانية .

واقعة بيدنا ١٦٨ ق . م .

مصر تحت الحماية الرومانية ١٦٨ ق . م .

وفى عام ١٦٨ ق . م . دخلت مصر فى حماية الرومان أيضاً و بذلك انتهت دولة الاسكندر .

السياسة الرومانية والفتوح

كانت السياسة الرومانية قبل واقعة بيدنا متجهة الى تجنب التملك خارج ايطاليا والاكتفاء ببسط نفوذها السياسى فى الشرق الأدنى . ولكنها وجدت أن تلك السياسة لم تأت بالمقصود منها بل أوجبت تدخلا مستمرا من جانب الحكومة الرومانية ووجدت تلك الحكومة سياسة الضم أقل مشاكل وأسهل تنفيذا .

فعلى ذلك يخطئ من يرى فى اتساع الدولة الرومانية أمراً مقصوداً أو مشروعاً مفصّلا ، بل كان فى الحقيقة أمراً حتمته الظروف وحاول السناتو تجنبه مدة طويلة .

كانوا (الجنود غالبا جنود وعدم تعيين القادة) مثل بيريوكي وكاريوكي جراكوس حلفاء
كلا ماريوس (بقيادة في أفريقيا) اعتماد جوكه يوجورثا فقط اعتماد ثورة قبائل الجزيرة
و اليوغورثه . الثورة في ايطاليا بثورة اجتماعية) سببها استياء الرعايا عن حقوقهم
في أثناء ذلك يحرب في آسيا ملكهم مثراداتيس (ماريوس) بقيادة (سلا) يحتل
هرب ماريوس الى أفريقيا (سلا) فيه الحكم يحرب في آسيا في أثناء ذلك
رجع ماريوس تغلبه على الضائقة عودة (سلا) : قادة عاكفة للاستيلاء

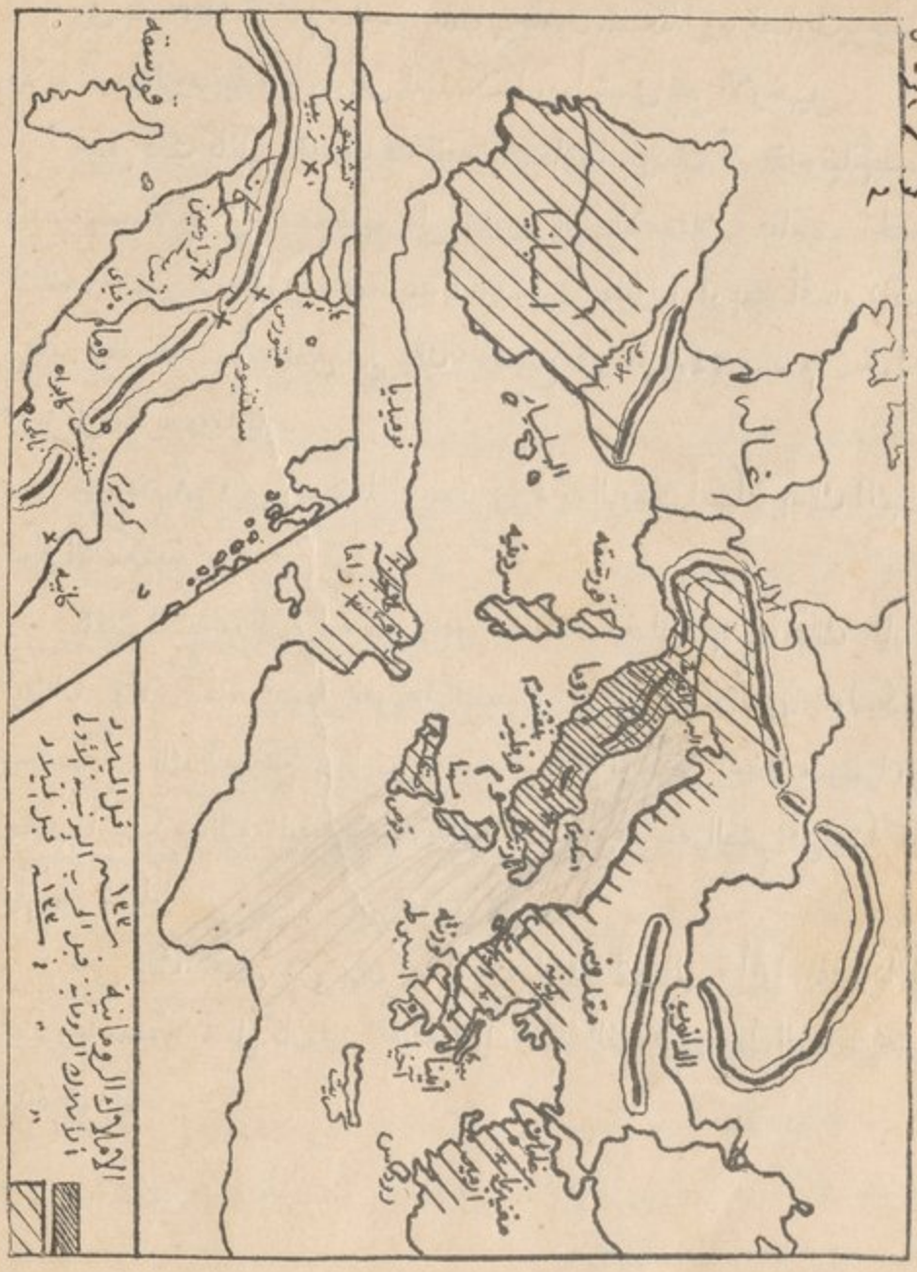

ما سلا ٧٨ . يوفي
ا حماد الثورة في اسبانيا
نتما به فقط في
عجوه للبر الإيطالية من البرتغال
يا بيه قتاد ايتس

الفصل الخامس

عصر الثورات

١٤٦ — ٣٠ ق . م .

اتسع ملك روما واشتمل بلاد البحر الابيض المتوسط ، و بعد أن كان السناتو مجلس شيوخ مدينة صغيرة من مدن ايطاليا أصبح محكمة تفصل فى أمور الملوك والشعوب ، وقصد روما الملوك والأمراء التابعون ليقيموا فيها يتزلفون الى السناتو وما لبث هذا الملك العظيم حتى أثّر فى الرومان أنفسهم وفى حكومتهم .

الحكم الرومانى فى الولايات

كان الحكم الرومانى فى الولايات سيئاً أيام الجمهورية وذلك لان أهل الولايات لم يكن لهم شىء من الحقوق التى كانت للرومان . وقد وضع السناتو قوانين لحكم الولايات ولكنها لم تراع : فالحاكم الرومانى فى الولاية كانت سلطته تامة ، فى يده الحامية الرومانية والأموال التى يجبيها ، وهو بعيد عن أعين السناتو ولا سبيل لوصول شكاوى الاقاليم النائية الى مسامعه .

ومما زاد الطين بلة أن العادة اقتضت أن لا يمكث الحاكم اكثر من عام واحد فكان الغالب على الحكام انتهاز الفرصة لجمع كل ما يمكنهم جمعه من المال ولو وقع الحيف على الرعية . وذلك لأن الحاكم كان لا يعين فى الحكم الا اذا بذل المال بين ذوى النفوذ فى روما فكان يهمه أن يسترد ما بذل من جيوب المحكومين .

الالتزام

وكان الحكام يتبعون فى جمع الاموال طريقة فاسدة هى المعروفة بطريقة الالتزام : وذلك أن يتعهد بعض الناس بدفع ماعلى الاقليم من الضرائب جملة واحدة ويقومون هم بجمعها من الناس لا نفسهم . وعيب هذه الطريقة أن الملتزمين كانوا يربحون من ذلك ربحاً كبيراً فقد كانوا يقدمون للحكومة أقل مما لها ويجمعون من الناس اكثر مما عليهم من الحقوق .

المرابون

ساءت الحالة فى الولايات وعمد أهلها الى الاقتراض من طائفة المرابين وكانوا يقرضون اموالهم ربا فاحش ، وليس هناك من يحمى الفقراء منهم ومن تحكمهم .

الاغنياء فى روما

وقد اعتادت تلك الطوائف من الحكام والملتزمين والمرابين الرجوع الى روما بعد جمع ثروة عظيمة فى الولايات والاقامة فيها والانفاق على سعة . فبنوا قصوراً فخمة فى العاصمة وزينوها بما جمعوه فى بلاد الاغريق والشرق من النفائس ، وحاطوا أنفسهم بالجم الغفير من الارقاء والخدم . وكانت معيشتهم أبعد ماتكون عن معيشة الاشراف الذين بنوا مجد الجمهورية . وصار لهؤلاء الاغنياء بفضل مالهم نفوذ كبير فى الحكومة ، وصار كل اعضاء السناتو منهم وشغلوا وظائف الدولة العظيمة كلها ، وانتهى الامر بأن المجالس العامة فى روما التى سبق ذكرها لم يصبح لها من الامر شىء

فساد العامة

ولم يقف الأمر عند ذلك فان الأغنياء عملوا على اكتساب نفوذهم بافساد العامة بطرق مختلفة. منها بيعهم الغلال لهم بثمن بخس ، ومنها الاكثار من المواسم والاعياد والعاب المصارعين وسباق العجلات فضمنوا بتلك الطرق اصوات

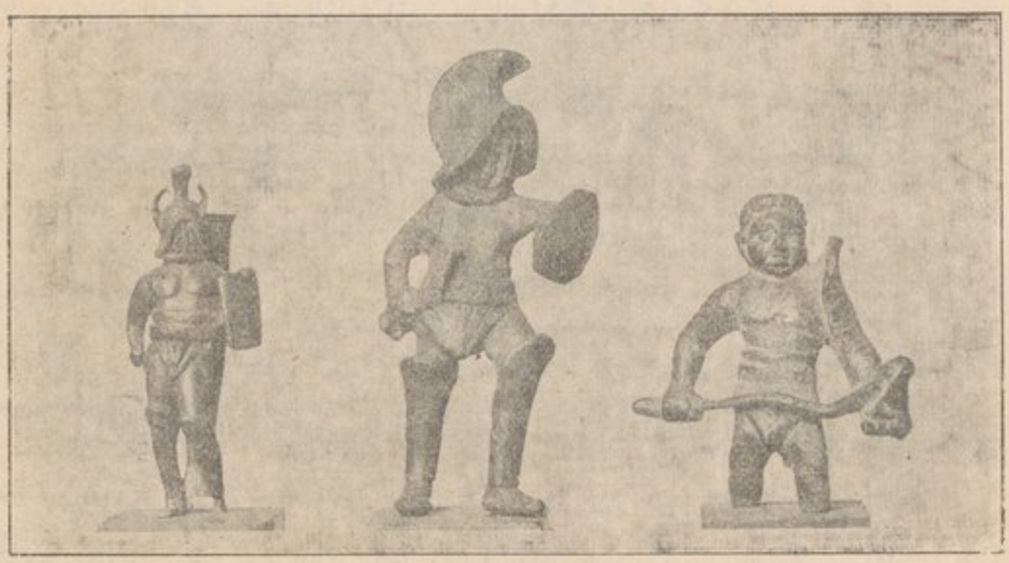

شكل (٢٨) المصارعون "اثيل مصغرة

شكل (٢٩) مسرح الكلوسيوم - الشكل الخارجى

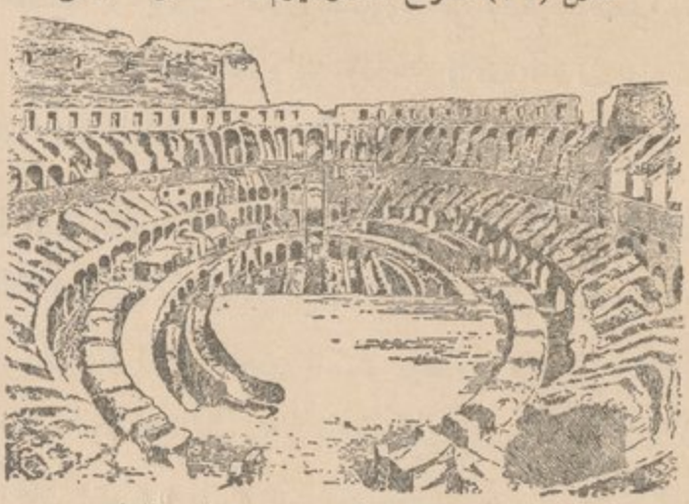

شكل (٣٠) الكلوسيوم - داخل البناء

الشعب فى الانتخابات ، ولم يجرؤ الفقير كذلك على ترشيح نفسه لأية وظيفة من الوظائف . وحتى الجند فسدت أخلاقهم فوضعوا أنفسهم تحت تصرف قوادهم الذين كانوا يمنونهم بالأسلاب والغنائم وأصبحوا فى أيديهم آلات لتحقيق مطامعهم الذاتية . وجملة القول أن الشعب الرومانى الذى كان كبير الفضائل السياسية والحربية استحال الى جمهور من الرعاع يعيش على فتات موائد الاغنياء.

المزارعون

استخدام الرقيق

وأخذ الاغنياء أيضا فى ابتياع أرض صغار المزارعين وتحويلها الى ضياع كبيرة . وعملوا على استخدام الرقيق فى الزراعة بدلا من الاحرار . ومعظم الرقيق أصلهم من أسرى الحروب فى قرطاجنة واسبانيا وغالة ومقدونيا وبلاد

الاغريق وآسيا . وكانت هناك اسواق يباعون فيها ويشرون ، وأثرى أناس كثيرون من تلك التجارة .

ثورات الارقاء

ولم يحسن السادة معاملة أرقائهم فقاموا مراراً وثاروا طلبا للحرية . واحتشد منهم فى إحدى الثورات جمع يبلغ نحو ٦٠٠٠٠ وجعلوا من أحدهم ملكا، ولم تخمد الحكومة حركتهم الا بعد حرب دامت سنين عدة .

نتيجة كل ذلك اضمحلال طبقة الزارعين الصغار ؛ اذ أن الزارع الصغير عجز عن مزاحمة المالك الكبير فلم يمكنه أن يبيع حاصلاته بأثمان حاصلات الضياع العظيمة أو بأثمان الغلال المستوردة من مصر أو صقلية أو افريقية ، فاضطر الى بيع مزرعته والارتحال الى روما — كما فعل آلاف على شاكلته — والعيش فيها عيشة المتشردين .

تاثير الفتوح فى الحضارة الرومانية

كان من شأن الفتوح اتصال روما بالحضارة الاغريقية فأخذ أغنياء الرومان يدرسون الآداب والفلسفة الاغريقية، واتخذوا لأبنائهم مؤدبين من الاغريق. ولم يكن كل ذلك خيرا فقد صحب انتشار الحضارة الاغريقية اقلاع الرومان عن بساطتهم القديمة وفقدهم ايمانهم بآلهتهم وتفكك أواصر الاسرات . وقد قاوم تلك المساوئ رجال أشهرهم « كاتو » الذى كان طول حياته مثال المحافظة على العادات والنظم الرومانية القديمة . والسر فى اهتمام كاتو وأمثاله بالأشياء القديمة رؤيتهم أن انتشار الآراء الجديدة لابد أن يؤدى يوما ما الى القضاء على النظام الجمهورى نفسه ؛ فان هذا النظام قام فى الاصل على اساس اجتماعى خاص ، فمن شأن نقض هذا الاساس سقوط الجمهورية فى آخر الامر

الجهود فى سبيل الاصلاح

وكانت هناك جهود أخرى لاصلاح الحالة الاجتماعية والاقتصادية. وأشهر من قام بهذه الجهود الاخوان تيبريوس وكايوس جراكوس

تيبريوس جراكوس

انتخب تيبريوس تربيونا فى عام ١٣٤ ق . م. وانتهز فرصة ذلك لاصلاح نظام الاراضى: فسن قانونا يرمى الى انتزاع أرض الدولة ممن اغتصبوها وتقسيمها بين الفقراء . فعارض السناتو فى ذلك اذ كان جل أعضائه ممن يمسهم

معارضة السناتو

ذلك ، وحاول تيبريوس التغلب عليه باعادة ما كان لمجالس العامة من سلطة . وقد أدى ذلك الى فتنة قتل فيها تيبريوس وثلاثمائة من أنصاره .

كايوس جراكوس

وفى عام ١٢٤ ق.م. انتخب أخوه كايوس تربيونا فحاول تنفيذ مشروع تيبريوس ولكن لم يكن حظه أحسن من حظ اخيه فقتل فى عام ١٢١ ق . م . هو وثلاثة آلاف من أنصاره .

ظهور ماريوس

رأس حزب العامة بعده جندى ماهر هو ماريوس وكان من أصل وضيع يحقد على الاشراف والشيوخ وأول ماظهر كان عند ماتولى القيادة فى افريقية لاخماد حركة يوجورثا ملك نوميديا الخاضعة للنفوذ الرومانى . وكان القواد الذين عينهم السناتو ضد يوجورثا قد فشلوا حتى ذاك الوقت فشلا معيبا . انتصر ماريوس وهزم يوجورثا وأسره ، فأحب ماريوس الشعب وانتخبه قنصلا .

اخماد ثورة نوميديا

التغلب على قبائل السمبر والتيوتون

ثم قام فى عام ١٠٤ ق. م. لاخماد قبائل السمبر والتيوتون بعد أن عجز القواد الآخرون عن التغلب عليهم ، وتمكن من هزمهم هزيمتين ساحقتين ، ورجع رجوع الظافر .

اصلاح ماريوس

وفى عام ١٠١ ق.م. انتخب ماريوس للقنصلية مرة سادسة و بدأ الاصلاح وأحيا اقتراح الاخوين جراكوس وفتح الانتظام فى الجندية لجميع الطبقات وجعل الترقى فيه تبع الكفاءة لا الالقاب والمال .

الحرب الاجتماعية

ولكن قبل أن يتم عمله نشبت ثورة عظيمة فى ايطاليا أدت الى مايعرف بالحرب الاجتماعية (٩١ — ٨٩ ق . م.) وسببها استياء الايطاليين من تميز الرومان عليهم فى الحقوق السياسية على الرغم من تساوى الفريقين فى التكاليف.

ثار الايطاليون وأقاموا دولة مستقلة وجعلوا لها سناتو ومجلساً عاماً .

تنبه الرومان لخطر الحركة وكفت احزابهم عن التطاحن وانصرفوا الى اخماد حركة الايطاليين . وقامت بين الفريقين حرب لم تنته الا بعد أن نال الايطاليون مطالبهم .

الحروب ضد مثرادانيس

وتبع ذلك تجدد نزاع الاحزاب فى روما وقيام الحرب فى الشرق . وذلك

أن مثراداتيس ملك بونس فى الشمال الشرقى من آسيا الصغرى انتهز فرصة اشتغال الرومان فى ايطاليا وناصبهم العداء . فحاول حزب العامة تعيين ماريوس للقيادة فى الشرق وحاول الاشراف تقليدها «سلا» وكان قائداً شريفا اكتسب شهرة فى الحرب الاجتماعية .

زحف «سلا» على روما بجيشه — وهذه سابقة خطرة — فهرب ماريوس وانصاره منها ، ونال «سلا» ما كان يرمى اليه . معنى ذلك أن الأمر فى روما أصبح فى يد صاحب السيف لا فى يد من له كثرة الاصوات . وفى مثل تلك الظروف لا يستقيم نظام جمهورى .

عودة ماريوس

غادر سلا روما الى ميدان القتال فى عام ٨٧ ق . م . وما برحها الا ورفع حزب العامة رأسه ورجع ماريوس على رأس جيش من الايطاليين والارقاء وتغلب على السناتو وانتخب قنصلا للمرة السابعة ولكنه مات بعد قليل .

موت ماريوس

عودة سلا

وفى تلك الاثناء كان سلا قد هزم مثراداتيس وعاد بجيشه غانماً ظافراً ، وبعد قتال مع انصار حزب العامة انتصر سلا وأصبح الحاكم المطلق

الفتك باعدائه

وأول ما عمل كان الفتك باعدائه ويقال انه قتل منهم نحو ٤٧٠٠ ولم يكتف بذلك بل انتزع ملكهم . ثم أعاد ما كان للاشراف من الكلمة وحرم العامة حقوقها وانتزع من التربيون حق رفض القوانين . ولما انتهى من كل ذلك نزل عن السلطة فى عام ٧٩ ق . م . ومات فى العام التالى .

اعادة نفوذ الاشراف

موت سلا ٧٨ ق.م.

نقض ذلك النظام القائم على القوة العسكرية قائدٌ آخر مستندا أيضاً على جنده . ذلك القائد هو بومبى . وأول ظهوره كان عند اخماده فتنة فى اسبانيا .

ظهور بومبى

الحرب ضد القرصان

وفى عام ٧٠ ق. م. انتخب قنصلا وكلف تطهير البحر الابيض المتوسط من قرصان انتشروا فيه وعبثوا بالتجارة البحرية واستفحل أمرهم فقطعوا عن روما الغلال الآتية من مصر . وقد نجح بومبى نجاحا باهراً وتتبع القرصان الى حصونهم على سواحل آسيا الصغرى ودمرها

بومبى ومثراداتيس

وفى عام ٦٩ ق.م . تولى بومبى قيادة الحرب ضد مثراداتيس وكان قد أشعل نار الحرب ، فقضى عليه قضاء تاماً

سوريا ولاية رومانية

وردف ذلك بفتح سوريا وتحويلها الى ولاية رومانية وضم الى ملك الرومان أيضاً ارشليم و بذلك صار الاسرائيليون رعية رومانية

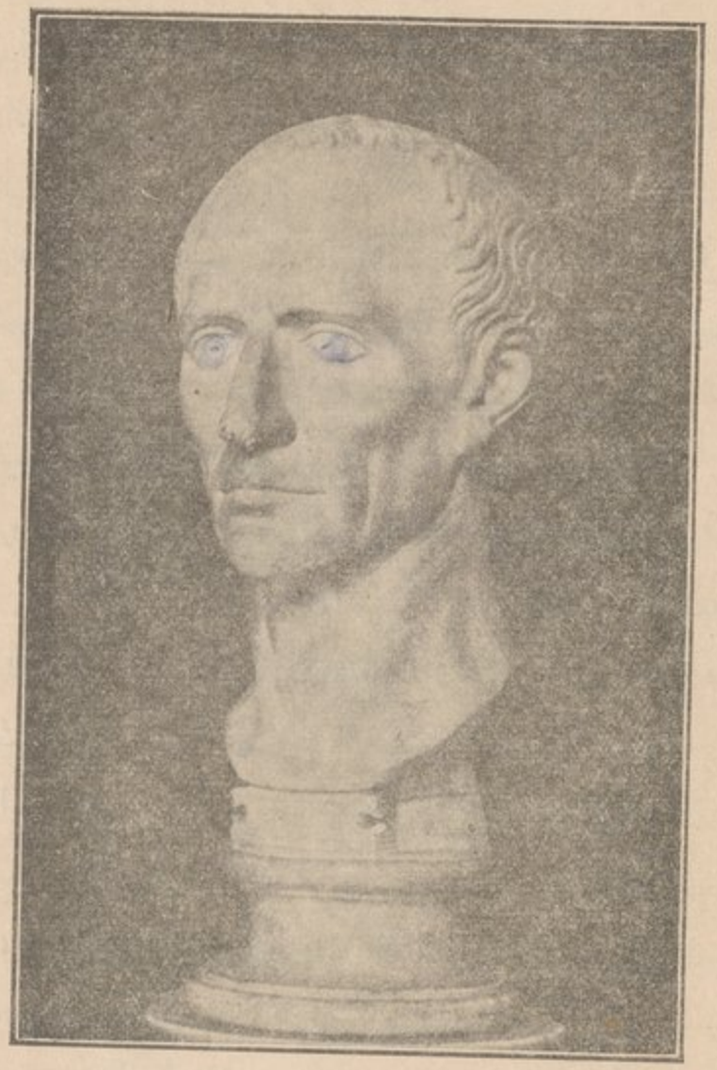

شكل (٣١) يوليوس قيصر

ظهور يوليوس قيصر

ظهر فى أثنا. غياب پومپى فى الشرق رجل آخر هو يوليوس قيصر سيكون له شأن أيما شأن فى تاريخ روما . وأول ما بدأ حياته السياسية كان فى حزب العامة لقرابته من ماريوس . ثم اتصل بزعيم اسمه كاتيلين وكان رجلا سيء السيرة

مؤامرة كاتيلين

طائشاً دبر مؤامرة لقلب الحكومة . وقد كشف عن تلك المؤامرة شيشرون

شيشرون

أخطب خطباء الرومان . وظن الناس أن لقيصر ضلعاً فيها فساءت سمعته وقتاً ما

التحالف الثلاثى

وعند عودة بومبى من الشرق على الصيت واسع النفوذ اتفق هو وقيصر وكراسوس على اقتسام الحكم بينهم ، فانتخب قيصر قنصلا فى عام ٥٩ق. م. وكان اذذاك فى الاربعين من عمره

اطماع قيصر

كان قيصر كبير الهمة يطمع فى ان يكون له من المجد ما كان لبومبى . وكان عالى النفس لا يريد السلطة لذاتها ولكن للتمكن من اصلاح ما اختل من الاحوال .

الحرب فى غالة ٥٧ — ٥٠ ق . م

عُين قائدا لغالة (فرنسا الحالية) وكانت اذ ذاك تسكنها قبائل حربية شديدة الشجاعة لكن لاقبل لها بالجنود الرومانية المنظمة . أخضع قيصر تلك القبائل بعد حروب دامت ثمانية أعوام ، وخلد بذلك اسمه فى التاريخ الحربى . وقد ترك وصفاً بديعاً لتلك الحرب فقد كان كاتباً عظيما كما كان جنديا كبيراً .

النزول فى بريطانية

وفى أثناء حروبه فى غالة اجتاز البحر الى بريطانيا وتوغل فيها حتى نهر التيمس

روما فى أثناء غياب قيصر

أوجس السناتو خيفة من انتصار قيصر الباهر والظاهر أيضاً أن بومبى لم يرتح للشهرة العظيمة التى اكتسبها حليفه ، فانحاز الى جانب السناتو ، وكان قد قُتل فى تلك الاثناء كراسوس ثالث الثلاثة فى حرب على الفرات

فأمر السناتو قيصر بتسريح عسكره والرجوع الى روما ، وحاول هذا أن يقنعهم بالعدول عن أمرهم حقناً للدماء فلم ينجح ولم ير بدا من الرجوع على رأس جيشه ، فعاد واجتاز الروبيكون وهو الحد الفاصل لقيادته عن ايطاليا وتقدم نحو روما وأصبح الحكم للسيف .

قيصر يعبر الروبيكون ٤٩ ق . م .

فرار بومبى

فر بومبى وزعماء السناتو من روما ودخل المدينةَ قيصر ظافرا

قيصر ينتخب قنصلا

وانتخب قنصلا

الحرب بين قيصر وبومبى

ذهب بومبى الى الشرق حيث كان له اسم كبير ، ولم تكن قوته مما يستهان بها اذ كان طوع أمره الاسطول الذى هزم به القرصان وكان له أنصار فى اسبانيا

قيصر فى اسبانيا

أغار قيصر على اسبانيا فى عام ٤٩ ق.م. وتغلب عليها ، ورجع الى روما قبل أن يتمكن بومبى من العودة اليها ، ثم لحقه فى شبه جزيرة البلقان وهزمه فى

واقعة فرساليا ٤٨ ق . م .

واقعة فرساليا ، ففر بومبى الى مصر وقتل فيها غدراً .

قيصر فى مصر

ذهب قيصرُ وراء عدوه الى مصر وكانت تحكمها اذ ذاك كليوبطرة فخضعت له وأقام معها وقتاً ثم غادرها واخضع نصار بومبى فى آسيا الصغرى .

قيصر فى آسيا الصغرى

وقد كتب اذ ذاك رسالته المشهورة للسناتو : أتيت فرأيت فغلبت .

وما حلت سنة ٤٥ ق.م. الا كان قيصر قد أخضع الدولة الرومانية كلها وعاد لروما وصار فيها الحاكم المطلق .

الاصلاح

كان قيصر رجل سياسة كما كان رجل سيف وقلم ؛ لم ينهج منهج ماريوس وسلا السيء ، فعفا عن أعدائه ؛ وحتى السناتو لم يلغه مع علمه بعدم أهليته واكتفى بتجريده من كل سلطة ؛ وأبقى أيضاً من مظاهر الحكم الجمهورى انتخاب الموظفين .

ثم اهتم بتنفيذ مشروع الاخوين جراكوس ، وأصلح ما اختل من نظام الحكم فى المدن ، وشرع فى تنظيف مدينة روما ، وادخل اصلاحا فى حساب السنين ، وانشأ الطرق الكبرى .

وقد فكر أيضاً فى التغلب على القبائل المتبربرة الساكنة بالقرب من نهر الرين ومد حدود الملك الى بحر الشمال .

قتل قيصر فى ٤٤ ق.م

ولكنه قتل وهو منهمك فى اصلاحه . قتله نفر تحت رياسة بروتوس وكاسيوس لمنعه من قلب النظام الجمهورى .

تجددت الفوضى بعد قتله ؛ فحاول السناتو اعادة الحالة الى ما كانت عليه أيام سلا ؛ ولكن قاومه حزب العامة وعلى رأسه رجلان قادران انتونى صديق قيصر الذى نهض للمطالبة بدم صديقه ، واستفز غضب الناس على قاتليه بمرثية مشهورة ، واكتافيوس قريب قيصر وكان اذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمره .

انتونى

اكتافيوس

التحالف الثلاثى الثانى

وفى عام ٤٣ ق. م. انتخب قنصلا واقتسم السلطة هو وانتونى ولبيدوس وأول أعمالهم كان الثأر لقيصر من أعدائه ؛ فقتلوا منهم عدداً كبيراً منهم شيشرون وتعقبوا بروتوس ومن معه الى شبه جزيرة البلقان وهزموهم فى واقعة فلبى وقتلوهم

واقعة فلبى

انتونى فى مصر

وبعد ذلك ذهب انتونى الى مصر لانحيازها الى أعداء قيصر وعاد اكتافيوس لايطاليا وتولى لبيدوس حكم افريقية

وفى مصر أحب انتونى كليو بطرة حبا عظيما ، وعاش معها عيشة ترف وخمول ، وفكر فى اقامة دولة شرقية لها ولنفسه .

فانتهز اكتافيوس تلك الفرصة وأثار عليه غضب الرومان ، وأعلن السناتو الحرب على كليو بطرة . وهزم اكتافيوس الاسطول المصرى فى واقعة اكتيوم ، واقتفى أثر انتونى وكليو بطرة الى مصر . وقد انتحر الاثنان قبل وقوعهما فى قبضته ، ودخلت مصر فى حكم الرومان

واقعة اكتيوم ٣١ ق . م .

مصر ولاية رومانية

أصبح بعد ذلك اكتافيوس لا منافس له . اذ لم يكن لبيدوس ذا خطر كبير ، وقد قبل التخلى عن السياسة وصار كاهناً كبيراً . وانتهت بذلك الثورات والحروب الاهلية التى بدأت باصلاح جراكوس فى عام ١٣٣ ق . م .

انتهاء عصر الثورات

الفصل السادس

تأسيس الامبراطورية

وعصر اجسطوس

شكل (٣٢) اجسطوس

سياسة اكتافيوس

عاش اكتافيوس بعد انتصاره فى اكتيوم أربعة واربعين عاما صرف فى اثنائها جهدا كبيرا فى وضع النظام السياسى على أساس ثابت فكان بذلك

المؤسس للامبراطورية . بيد أنه عنى عناية كبيرة بأن لايظهر بمظهر الحاكم المستبد ، فأبقى وظائف الدولة كما هى ولكن جمعها كلها فى شخصه ، وتجنب التلقب بلقب الحاكم المطلق (دكتاتور) واكتفى بلقب اجسطوس أو الفخم

تلقبه بلقب اجسطوس

أما لقب امبراطور فلم يكن اذ ذاك يدل الا على قيادة الجيش ، وترك مظاهر الحكم الجمهورى على حالاتها . فاستمر السناتو يضع القوانين ، و بقى الموظفون يحكمون باسم الشعب . كل ذلك فى الظاهر فقط .

معنى لقب امبرطور

وعاش اجسطوس عيشة متجردة عن أبهة الملك : يذهب للمجالس العامة للتصويت كعامة الشعب ويجلس فى السناتو ويخطب فيه وأبواب منزله مفتوحة للواردين

ولكن كان فى الحقيقة الحاكم المطلق ، ويعاونه فى الحكم مجلس من اخصائه ، وله حرس يحفظ الامن ، يعتمد عليهم فى ذلك وفى العناية بتدبير الغلال اللازمة لاهل روما ، ويتلقى أوامره فى ذلك الشأن موظفون من العتقاء يثق فى اخلاصهم له .

خيم النظام على روما فى أيامه وساد السلام فى ربوعها بعد أن طال عبث العابثين به وأخذت الرفاهية تحل محل البؤس

بناء روما

واهتم اجسطوس بتجديد روما وتحسينها . وقد باهى بذلك فقال إنه وجد

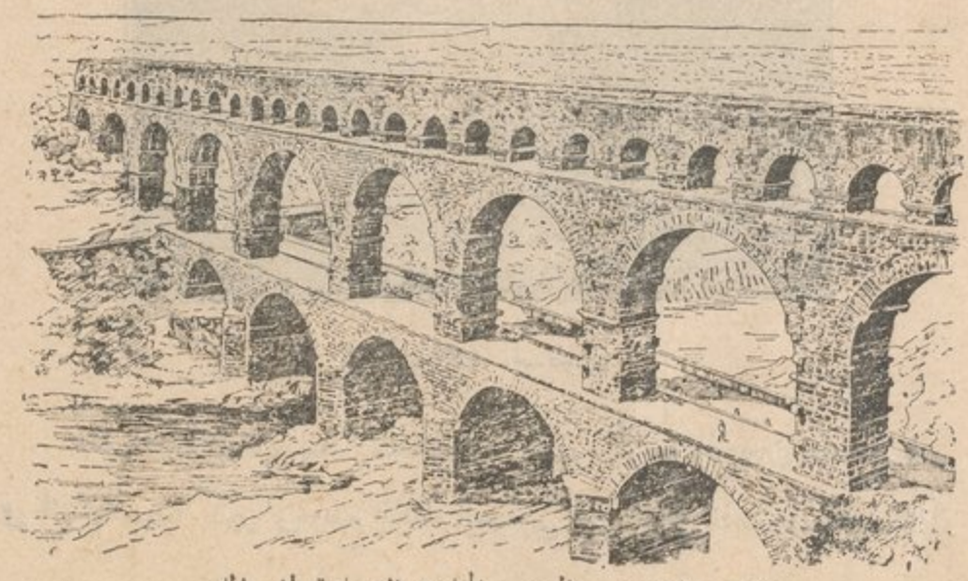

شكل (٣٣) مثال من المجارى الرومانية لجلب الماء

مبانيها مبنية باللبن وتركها مبنية بالرخام . ونظم توزيع الماء على دورها وجلبه من مسافات بعيدة بمجارى عالية وخصص له طائفة من المهندسين . وحاول اصلاح الاخلاق فأحيا العبادات وقيد الطلاق كى يمنع تفكك الاسرات .

اصلاح الحكم فى الولايات

أخرج الامبراطور معظم الاقاليم من حكم السناتو ووضعها فى يده واهتم بازالة النظام السيء الذى تقدم وصفه . فكان هو الذى يعين الولاة ويجرى عليهم رواتب ثابتة ويراقبهم مراقبة تامة. وجعل لسكان الولايات حق انتخاب مجالس لها ان ترفع الشكوى للامبراطور نفسه .

ثم قام باحصاء دقيق للولايات وحدد بعده مقدار الضرائب فعلم الناس حينئذ ما عليهم بالضبط ، وخلصهم بذلك من ظلم الجباة وتحكم المرابين. وقد أردف ذلك باصلاح جليل هو انفاق معظم ما يجبى من الاقليم فى الاقليم نفسه فى انشاء طرقه وقناطره ومجاريه وغير ذلك من المنافع العامة .

صار بذلك الحكم فى الاقاليم عادلاً ثابتاً .

الدولة الرومانية

كانت الدولة تحدها حدود طبيعية : نهر الرين فى الغرب والدانوب فى الشمال والفرات فى الشرق . وبالقرب من تلك الحدود كان المتبربرون .

الجيش

وقد نظم اجسطوس جيشاً عظيما لحماية الحدود ، عقد له ثلاثة وعشرين لواء ، وجند أيضاً فرقاً احتياطية من أهل الولايات ، وبلغ عدده جميعاً ٤٠٠٠٠٠ جندى ، ووزعه فى معسكرات فى النقط المهمة . وبذلك ساد السلام .

وقد فكر الامبراطور فى اخضاع المتبربرين شمالى الدانوب ومد الملك الى الالب ولكن الجيش الذى أرسله لذلك الغرض هزمه المتبربرون وقفل راجعاً

عصر اجسطوس

وكان عصره من أزهى العصور حضارة .

وقد تقدم أن الرومان اتصلوا بالحضارة الاغريقية فأصبح متعلموهم شديدى الشغف بآداب الاغريق ، حتى كانوا يفضلون استعمال الاغريقية فيما بينهم على اللاتينية لغتهم . ولما قام شيشرون وكتب باللاتينية وأجاد اجادة عظيمة أثبت بذلك أنها تصلح للتعبير عن كل المعانى . ولا يزال ما كتبه شيشرون فى الخطابة

شيشرون

والأدب والتراسل نموذجا للادباء من جميع الأمم . ففضله على اللاتينية عظيم .

وكان اجسطوس يميل الى مخالطة الادباء وتبعه فى ذلك بعض عظماء الرومان ومنهم مايسيناس ويضرب به المثل فى تشجيع الادب ورجاله . وانشأ اجسطوس دارين عظيمين للكتب فى روما . فلا عجب ان ظهر فى عصره رجال نوابغ برزوا فى مختلف الفنون . فكتب ليفى تاريخا لروما استغرق وضعه أربعين عاماً . وظهر من الشعراء هوراس وفيرجيل .

مايسيناس

ليفى

هوراس وفيرجيل

هذا ما كان من أمر الادب ، ولكن الرومان لم يصلوا فى الرسم والبناء وصنع التماثيل الى ما وصل اليه الاغريق ، وكذلك فى العلوم . يدلك على

(شكل ٣٤)

تمثال رومانى يوضح اثر الفن الاغريقى فى الفن الرومانى

ذلك أن المؤلف العلمى الوحيد الذى وضع فى عصر اجسطوس هو جغرافية اسطرابون . ولم يكن اسطرابون رومانياً بل كان اغريقياً يسكن فى روما . كذلك فى الفلسفة لم يبلغ الرومان مابلغه الاغريق . اسطرابون

وجملة القول أن الرومان امتازوا بحكمتهم السياسية فكانوا أقدر من الاغريق فى التشريع واكفأ منهم فى الحكم والحرب ؛ أما الاغريق فكانوا شعباً واسع الخيال سريع الفهم بلغ فى الفنون والآداب مبلغا لم ير التاريخ له مثيلا . الحضارة الرومانية والحضارة الاغريقية

مات اجسطوس فى عام ١٤ م . وهو فى السادسة والسبعين من عمره ولم يترك ولداً فآل الحكم الى ابن زوجته تيبريوس موت اجسطوس ١٤ م

كان تيبريوس قائداً ماهراً وحاكما حازماً ؛ ولكن الناس لم يحبوه كما أحبوا اجسطوس اذ كان أميل للاستبداد وأقل عناية بالمحافظة على المظاهر الدستورية واكثر اقتصاداً فى نفقات الملاهى العامة . وفى آخر حكمه فسد تدبيره بعض الفساد فأصبح كثير الشكوك تخامره الاوهام وقتل عدداً من الناس ظنهم يأتمرون به واعتزل الناس وعاش فى جزيرة كابرى بالقرب من خليج نابولى . تيبريوس عام ١٤ - ٣٧ م

وقد ترك المؤرخ العظيم تاسيتوس وصفاً دقيقاً لتيبريوس فى آخر أيامه . تاسيتوس

ويجدر بنا أن نذكر أن تاسيتوس لم يكن ممن يحبون الامبراطورية .

وحكم بعده كاليجولا ثم كلوديوس وليس لهما شأن كبير ؛ ولكن بفضل النظام الذى وضعه اجسطوس لم تشب حكمهما شائبة كاليجولا وكلوديوس

تولى كاليجولا وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وقد اختل عقله لما تولى تلك السلطة الهائلة فانصرف الى الشهوات وبدد ماجمعه تيبريوس وبلغ من اختلاله أن عين حصانه قنصلا مظهرا بذلك احتقاره للنظم الجمهورية . ثم قتل بعد حكم اربع سنين

وحكم بعده كلوديوس وكان ضعيف العقل والخلق وأهم ماينذكر عن عصره اخضاعه الجزء الجنوبى من جزيرة بريطانية (انجلترا الحالية) للحكم الرومانى وقد مات مسموما . بريطانية ولاية رومانية

وتولى بعده نيرون ، وكان اسوأ من حكم . ترك حبل الامور على غاربها نيرون

وصرف وقته لاهيا لاعبا ، وأصبح يضرب به المثل فى القسوة : فقتل الفيلسوف سنكا مؤدبه ووزيره وقتل أيضا أمه وهكذا

قتل سنكا

احراق روما

وفى أيامه أحرقت مدينة روما . وذاع بين الناس أنه احرقها ليكتسب فخر اعادة بنائها . وقيل أيضا إنه جلس يعزف على قيثارته حينما كانت النار تلتهم المدينة ؛ ولا صحة فى ذلك وان كانت الاشاعة تدل على رأى الناس فى نيرون وتوقعهم ارتكابه أى جرم .

موت نيرون عام ٦٨ م.

وقد أخذ يجمع المال للبناء واشتد فى ذلك فأثار ذلك استياء عاما وقتل نيرون نفسه قبل أن يقع فى أيدى الثوار لما علم بان السناتو حكم باعدامه .

الفصل السابع

القياصرة الفلافيين والانتونين

فسبازيان ٦٩ — ٧٩ م.

قام من قواد الجيش بعد موت نيرون نزاع على العرش ، ونجح أحدهم فسبازيان وتولى الامبراطورية فى عام ٦٩ م .

حكم فسبازيان

يعرف فسبازيان ومن خلفه من اسرته بالقياصرة الفلافيين ، وكانوا حكاما عظاما أعادوا للدولة ما كانت عليه أيام اجسطوس من القوة والرفاهية .

أصلح فسبازيان ما اختل من الامور المالية وأعاد النظام فى الجيش واخمد الثورات المختلفة ، وأخرج من السناتو عديمى الاهلية من رجاله وألغى قانونا يبيح للامبراطور الفتك باعدائه جملة واحدة دون محاكمة

تيتوس ٧٩ـ٨٠م.

وتولى بعده ابنه تيتوس . ولم يحكم الا عاما واحداً . وفى أيام أبيه تولى

تخريب ارشليم ٧٠م.

اخماد ثورة قام بها الاسرائيليون واستولى على ارشليم ودمر مبانيها . وقد حدث

تدمير بومبي ٧٩م.

فى أيامه ثوران بركان فيزوف وتخريبه المدن على سفحه ومنها بومبي .

انتهت مدة الفلافيين فى عام ٩٦ م وقامت بعدهم أسرة الانتونين

تراجان ٩٨ — ١١٧ م.

ومن أشهر رجال هذه الاسرة الامبراطور تراجان ، وكان قائدا ماهرا دفع المتبربرين عن حدود الدولة واستعمر ولاية داشيا وهى الآن جزء من رومانيا الحالية . وأضاف الى الدولة أيضا ارمينيا واشور والارض بين الدجلة والفرات وقد نصب فى روما العمود المشهور باسم عمود تراجان تخليدا لهذه الحروب

ولاية داشيا اتساع الدولة فى الشرق

وكان تراجان يشبه اجسطوس فى شدة احترامه للمظاهر الدستورية وفى بساطة عيشته

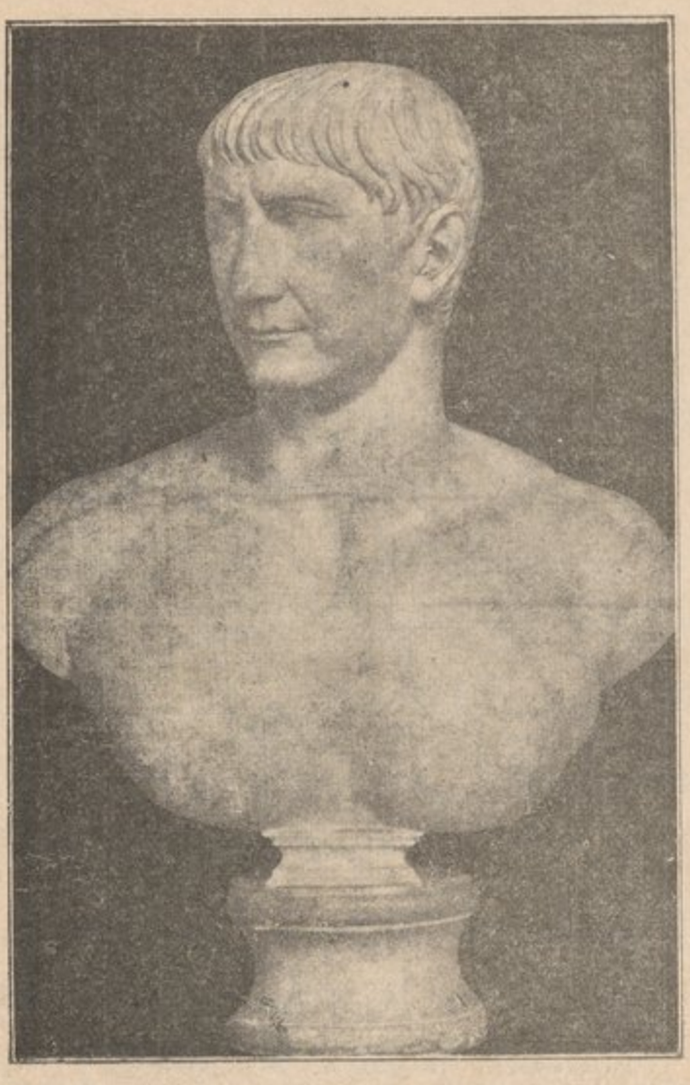

شكل (٣٥) تراجان

هادريان
١١٧ — ١٣٨ م.

وخلفه امبراطور عظيم هو هادريان ، وكان أيضا قائدا عظيما وحاكما ماهرا. ولما رأى أن فتوح سلفه كانت مصدر ضعف لا قوة تخلى عنها وجعل الفرات حد الدولة الشرقى . وبنى اسوارا على الحدود الشمالية لمنع المتبربرين من التوغل فى أرض الدولة . واشهر تلك الاسوار سور هادريان فى شمالى انجلترة وكانت تمتد شرقا وغربا بين البحرين ولا تزال أجزاء منها باقية

سور هادريان

وكان يحب التجول فى الولايات وأينما حل ترك ما يدل على عظم همته .

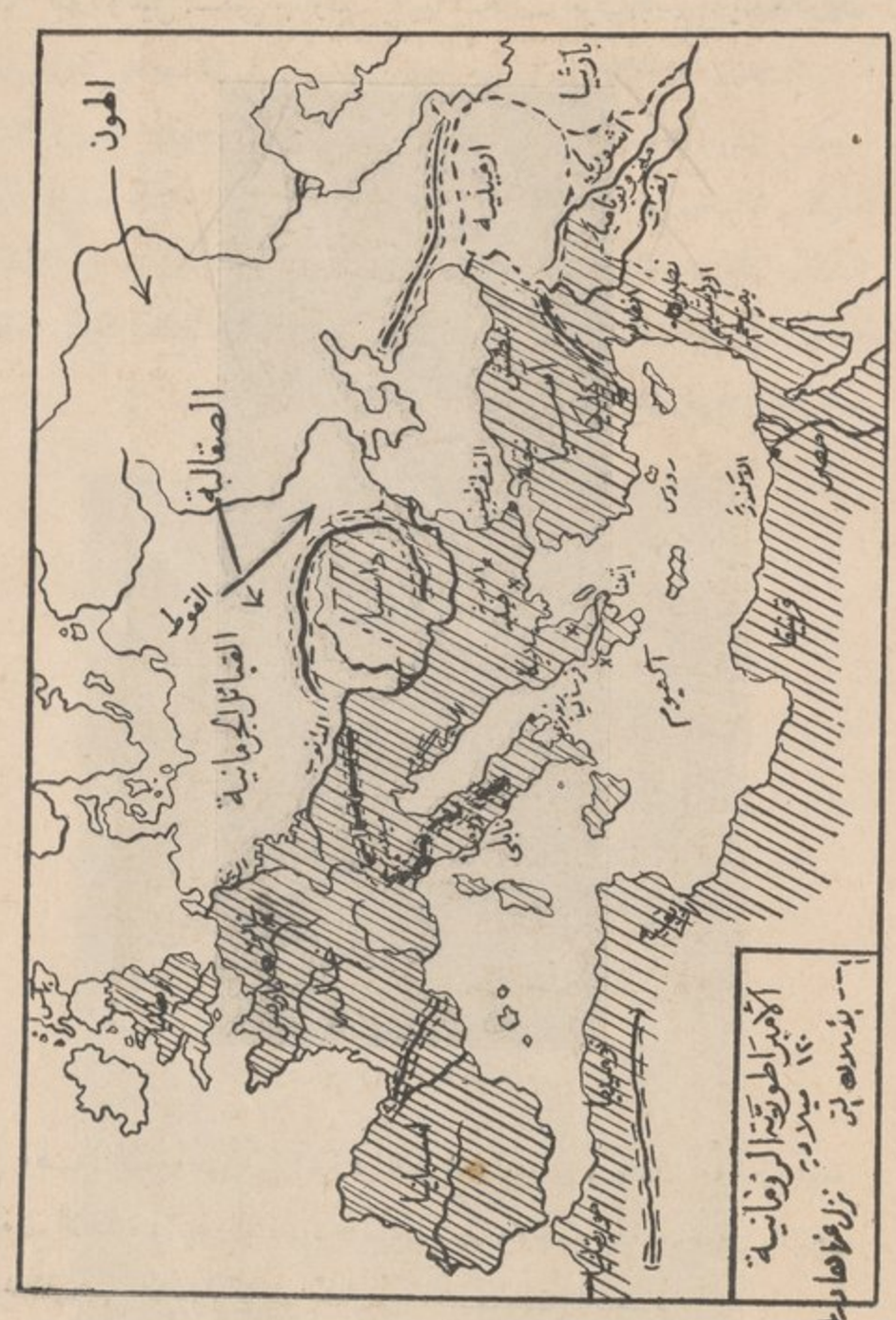
الهون
الصقالبة
القوط
القبائل الجرمانية
الأمبراطورية الرومانية
١٢٠ سيدة
نزل فيها

واهتم بنوع خاص باقامة المبانى المختلفة وترميم العمائر القديمة . وكان يحب أثينا حبا كبيرا ويميل للسكنى بها والعناية بها فكانت تعرف باسم مدينة هادريان

شكل (٣٦) هادريان

الادارة

ولهذا الامبراطور أثر آخر فى التاريخ الرومانى ؛ وذلك أنه حتى أيامه كانت الادارة فى يد العتقاء ، فانتزعها منهم وأوجد لها موظفين ثابتين فى وظائفهم من الاحرار كما هو الحال فى الحكومات الحاضرة

القوانين

وبدأ أيضاً جمع القوانين المختلفة فى مجموعة واحدة هى أول مجموعة من نوعها

بدء غارات المتبربرين

وبالجملة بلغت الدولة الرومانية أيامه مبلغ قوتها . وفى مدة خلفه بدأت

إغارات للمتبربرين التى استمرت سنين عدة ولم تنته الا بانحلال الدولة وقيام ممالك المتبربرين محلها

ماركس اوليوس ١٦٨ — ١٨٠ ق.م. تأملات ماركس اوليوس

اشتدت تلك الاغارات فى عهد أحد خلفاء هادريان الامبراطور الفيلسوف ماركس اوليوس وقد خلف هذا الامبراطور مجلداً صغيراً يعرف باسم تأملات ماركس اوليوس ؛ وتدل تأملاته على أنه كان يسعى طول حياته لبلوغ غاية الكمال الخلقى . ولكن اغارات المتبربرين لم تدع له التمتع بهدوء الفلسفة فعاش طول حكمه فى حرب معهم ؛ ولما يئس من الوصول لغرضه بالقتال استن سنة خطرة هى السماح لبعضهم بالسكنى فى أرض الدولة

شكل (٣٧) ماركس اوليوس

الفصل الثامن

عصر الفوضى الحربيـــة

عصر الفوضى الحربية

بدأ بموت ماركس ارليوس عصر سادت فيه الفوضى ، وذلك لتدخل الالوية المختلفة فى تعيين القياصرة . وقامت بينها حروب طويلة أضعفت الدولة اضعافاً كبيراً . ولا أدل على سوء الحالة من أنه حكم فى مائة سنة ثمانية وعشرون امبراطوراً .

نتجت من ذلك نتائج سيئة . فثارت عدة ولايات وخرجت عن حكم الدولة ، وعبث المتبربرون بالحدود وعاثوا فى أرضها فسادا .

دقلديانوس ٢٨٤ـ٣٠٥ م.

وقد حاول الامبراطور دقلديانوس اصلاح ذلك ، وكان يرى أن لا طاقة لرجل واحد يحكم الدولة كلها فأقام معه امبراطوراً آخر مقر حكمه ميلان فى ايطاليا

تقسيم الدولة

وأقام أيضاً قيصرين آخرين أقل مرتبة من دقلديانوس وزميله ويتوليان الامبراطورية بعد موتهما . وقد قدر أن ذلك الترتيب يمنع الجند من التدخل فى تعيين القياصرة

اختص دقلديانوس بأمر الشرق وابتدع فى عيشته بدعة سيئة تلك هى الانزواء عن أعين الشعب وحياطة شخصه بمظاهر الملكية الشرقية . وظن أنه بذلك تعظم هيبته فلا يجسر فرد على مسه بسوء ، وزاد أيضاً فى عدد الموظفين لتوسيعه نطاق الحكومة

فشل سياسة دقلديانوس

فشلت سياسة دقلديانوس : فتقسيم الدولة لم يؤد الى الغرض منه فلم يمنع الحروب الاهلية ، والبذخ والاسراف والاكثار من عدد الموظفين أفقر الامبراطورية .

قسطنطين ٣٠٩ - ٣٣٧ م.

ولم يدم النظام الذى وضعه بعد موته ، اذ انتصر أحد الرومان قسطنطين على منافسيه وتولى الامبراطورية ووحدها ثانية .

تأسيس القسطنطينية ٣٣٠ م.

أسس قسطنطين مدينة القسطنطينية واتخذها مقراً لدولته ، ثم رفع عن

المسيحيين الاضطهاد الذى أنزله اسلافه بهم واعتنق دينهم وجعله دين الدولة الرسمى فى عام ٣١٢ م . واجتمع فى أيامه بناء على مشورته أول مجمع عام لكنائس الشرق والغرب فى مدينة نيقية بآسيا الصغرى

المسيحية دين الدولة الرسمى ٣١٢ م .
مجمع نيقية

الفصل التاسع

انتشار المسيحية

تمهيد

أشير فى آخر الفصل السابق الى انتصار المسيحية على الوثنية فى أيام قسطنطين وثبتت بذلك دعائمها وأصبحت عنصراً مهما من عناصر الحضارة الاوربية الحديثة ؛ وأثر المسيحية فى التاريخ أعظم شأناً من القانون الرومانى والآداب اللاتينية والاغريقية ، اذ أنها دين الملايين من الخلق أما الفلسفة والأدب فلا تؤثر الا فى قليل من الناس ؛ فلا يسع طالب التاريخ الا العناية بدراستها دراسة تاريخية بعيدة عن الجدل الدينى

الدعوة للمسيحية

دعا حواريو المسيح الناس الى اعتناق دينه ؛ فاعتنقه أولا الكثير من بنى اسرائيل ؛ ثم أخذ بولس أحد الحواريين يحاول نشره بين غير الاسرائليين فجال فى آسيا الصغرى و بلاد الاغريق وألقى عصا التسيار فى روما حيث أعدم فى عهد نيرون . وقد خلف بولس الرسائل التى كتبها فى أثناء رحلاته وانتشرت باللغة الاغريقية وشغف الناس بها . وانتشرت أيضاً كتب أربعة تقص سيرة المسيح وتتضمن تعليمه ؛ وهذه الكتب الاربعة ورسائل بولس هى أهم محتويات العهد الجديد .

بولس

قتله فى روما ٦٥ م .

رسائله

الكتب الاربعة

العهد الجديد

اسباب انتشار المسيحية

انتشر الدين انتشاراً سريعاً فى سائر ارجاء الدولة الرومانية ولذلك الانتشار السريع اسباب :

ضعف الوثنية

منها ضعف الدين الرومانى الوثنى ؛ وعيبه وعيب العادات الوثنية جميعاً أنها لاتصلح للانسان الا فى طفولة الحضارة ينفر منها اذا نضج فكره وتكون خلقه ؛ فليست العبادات الوثنية الا طقوساً ترمى الى اتقاء شر الآلهة أو استجداء خيرها .

أثر الفلسفة

وقد حاولت الفلسفة تكميل ما فى الوثنية من نقص فعلم الفلاسفة الاغريق الفرق بين الخير والشر و بينوا واجبات الانسان المختلفة ؛ واهتمت طائفة

الرواقيون

الرواقيين بالاخلاق فحثت على الصبر والتجلد والتواضع ونهت عن الكبر والاثرة واستنكرت الرق والقسوة .

انتشرت هذه الآراء بين الرومان وهذه تأملات ماركس ارليوس أثر من آثارها ولكن الفلسفة لا تنفذ الى قلوب الكثيرين ولا تبلغ من العامة ما يبلغه منها دين يعلم الوحدانية وحب الله والناس جميعاً ويقرر تساوى الخلق جميعاً .

انتشرت المسيحية بذلك ، ولم ترض حكومة الدولة الرومانية عن ذلك فعمدت الى اضطهاد معتنقيها .

اسباب اضطهاد المسيحيين

ولم يكن ذلك الاضطهاد صادرا عن غلظة قلب أو كره لكل ما لم يكن مألوفا فقط ، فقد اضطهد المسيحية بعض من اكرم القياصرة خلقاً وأوسعهم فكراً ؛ إنما كان الاضطهاد لشعور الحكومة بأن الدين الجديد ينقض الاسس التى قام عليها المجتمع الرومانى .

أنكرت المسيحية الرق والقسوة فى معاملة الارقاء على حين أن الوثنية تعدهما أمراً طبيعياً ، وحثت المسيحية على التواضع وانكار الذات والاخوة أما الطبقات الرومانية الحاكمة فكانت قائمة على تمييز الناس بعضهم من بعض وتعد السعى الى القوة والجاه والثروة أمراً مشروعاً ، فلا عجب ان أوجست خيفة من انتشار الدين الجديد بين الفقراء والارقاء .

عبادة الامبراطور

ورفض المسيحيون التعبد لتماثيل القياصرة المنصوبة فى المعابد وكانت تلك العبادة فرضاً على الجميع ، فعدت الحكومة ذلك عصيانا وخيانة ، وحداها ذلك على اضطهاد المسيحيين وعدهم فئة خارجة على الجماعة

أثر الاضطهاد

وقد بلغ الاضطهاد أشده فى عهد نيرون ودقلديانوس ولكنه لم يأت بالغرض بالمقصود منه بل زاد المسيحيين تمسكا بدينهم الى أن أصبحوا فى أيام

قسطنطين

قسطنطين أكثر عدداً من الوثنيين ، فرأى هذا الامبراطور أن يجعل دين الكثرة دين الدولة الرسمى .

الالحاد

ولما ارتفع عن المسيحيين الاضطهاد بدءوا ينقسمون فرقا وقام فيهم قسيس

اريوس

اسمه اريوس يدعو الى مذهب عرف بالآرية نسبة اليه ، فاجتمع من رجال

مجمع نيقية

الدين مجمع كبير فى مدينة نيقية ونظر فى الخلاف السائد وقرر أن اريوس ملحد وطلب الى قسطنطين عقاب الملحدين

وبعد قسطنطين حاول أحد القياصرة نقض ما عمله . وذلك الامبراطور

جوليان المرتد

جوليان نشأ فى اثينا ودرس الفلسفة الاغريقية وعمل على اعادة الوثنية . ولكنه مات وعكس خلفه سياسته .

اضطهاد الوثنية

ولما استتب الأمر للمسيحية تماما أخذت الحكومة تضطهد الوثنية فأصدر

مرسوم ثيودوسيوس ٣٨٠م .

الأمبراطور ثيودوسيوس مرسوما يحتم اعتناق المسيحية وحرم عبادة الاوثان واغلق معابدها .

تنظيم الكنيسة

قامت الكنائس المختلفة فى المدن المهمة واشتهرت منها كنائس روما والاسكندرية وارشليم وانطاكية والقسطنطينية ، وجعلت لقسسها مراتب متتالية وصارت فى مجموعها شبيهة بحكومة منظمة .

الكنيسة جمهورية

ولكنها كانت تختلف اختلافا جوهرياً عن نظام الدولة الرومانى : فبينما كانت سلطة الامبراطور استبدادية كان المسيحيون يشتركون فى انتخاب الاساقفة وكان الاساقفة يدبرون الامور المهمة بالتشاور معا فى مجامع عامة .

بقاء الكنيسة بعد زوال الدولة الرومانية

تغلب على الدولة الرومانية المتبربرون وزال ملكها ولكن الكنيسة بقيت وكانت عظيمة الاثر فى تاريخ العصور الوسطى والعصور الحديثة .

الفصل العاشر

انحلال الدولة الرومانية وتأسيس ممالك المتبربرين

سباب اغارات المتبربرين

فى القرن الثانى بعد الميلاد أخذت القبائل المتبربرة الساكنة فى وسط أوربا وشماليها تحاول الاستيلاء على أراضى الدولة الرومانية .

وقد شجعهم على ذلك مارأوه من ضعف الدولة الحربى اذ أن من المتبربرين من خدم فى الجيوش الرومانية . وطمع المتبربرون أيضاً فى ثروة المدن الرومانية الا أن أعظم ما بعثهم على الاغارة على الدولة فرارهم من وجه متبربرين آخرين قدموا من آسيا حوالى ذلك الوقت .

حقيقة الاغارات

ونخطىء اذا تصورنا المتبربرين جميعاً زاحفين نحو الجنوب كسيل من الماء يجرف ما يعتوره من العقبات ، أو اذا ظننا ان الحكومة الرومانية عجزت مرة واحدة عن صدهم فسقطت تواً . لم يكن الأمر كذلك فكثيراً ما ردهم الرومان وأثبتوا أنهم اكثر منهم دراية بفن الحرب . هذا الى أن كثيرين من المتبربرين سكنوا فى الولايات الرومانية بأذن من القياصرة ودانوا لهم بالطاعة بل وتلقبوا بالقاب رومانية .

لفظ متبربرين

ويلزمنا أن ننبه أيضاً الى أن لفظ متبربرين لا يصح اطلاقه عليهم جميعاً فقد كانت قبائل منهم راغبة أشد رغبة فى الاحتفاظ بالحضارة الرومانية وعلى استعداد تام للتمدين والترقى .

تأسيس ممالك المتبربرين

انحلت الدولة الرومانية انحلالا بطيئاً وقامت محلها ممالك مختلفة متبربرة هى أصل الممالك الاوربية الحديثة . فلتاريخ المتبربرين حينئذ شأن كبير .

القوط

كان القوط يسكنون فى القرن الثالث وسط أوربا بين البحر الاسود وبحر بلطيق ، وانتشرت بينهم المسيحية ولكن على مذهب اريوس . ثم هجم عليهم تتار من آسيا يعرفون بالهون وذلك فى عام ٣٧٤ م فسمح الامبراطور فالنس للقوط بعبور الدانوب والسكنى فى أرض الدولة . ولكنه حتى كثرتهم فانقض

الهون

واقعة ادرنه عام ٣٧٨

عليهم ولكنهم تغلبوا عليه وقتلوه فى واقعة ادرنه عام ٣٧٨ م . وفى عام ٣٨٣ منحهم الامبراطور ثيودوسيوس ارضاً فى تراقية وآسيا الصغرى على شرط أن يعينوه فى حروبه .

تقسيم الدولة ٣٩٥م .

وعند موت ثيودوسيوس فى عام ٣٩٥ م انقسمت الدولة قسمين شرقية وعاصمتها القسطنطينية وغربية وعاصمتها روما . ثم تولى أمر القوط قائد طموح ولع بالحرب هو الاريك . غزا ايطاليا واستولى على روما فى عام ٤١٠ م . ولكنه مات قبل أن يتم فتح ايطاليا ، وارتحل قومه ويعرفون بالقوط الغربيين غرباً وأسسوا مملكة لهم فى جنوبى فرنسا وشمالى اسبانيا .

الاريك زعيم القوط يستولى على روما ٤١٠ م .

مملكة القوط الغربيين

لم يستقر القوط اذن فى ايطاليا ، ولم يكن سقوط روما اذ ذاك انتهاء الدولة الرومانية ، ولكن كان لذلك الحادث أثر كبير فى نفوس الناس إذ كانت تلك المرة هى الاولى لتغلب المتبربرين على تلك المدينة العظيمة .

مملكة الفندال فى افريقيا

لم تنته الدولة حينئذ ولكنها فقدت ولاياتها الواحدة بعد الأخرى فغزت قبائل الفندال افريقيا فى عام ٤٢٩ م . وقد وصلوا اليها مارين بفرنسا واسبانيا ، وأسسوا مملكتهم هناك . وكانوا على عكس القوط قساة القلوب نهابين وانطمست على أيديهم معالم الحضارة الرومانية بافريقيا .

الهون

اتيلا

وفى وقت ما اتحد الرومان والمتبربرون أمام خطر دهمهم جميعاً : ذلك هو اغارة الهون وكانوا متبربرين اسيويين أغاروا تحت قيادة ملكهم أتيلا على شرقى أوربا ونهبوه حتى اسوار مدينة القسطنطينية . ثم اتجهوا غرباً حتى وصلوا الى فرنسا وهناك عند مدينة تروى قابلتهم جموع الرومان والقوط وانتصروا عليهم فى واقعة حاسمة تعرف بواقعة شالون فى عام ٤٥١ م . وفى العام التالى غزا أتيلا ايطاليا ولكنه لم يحاصر مدينة روما ومات فى عام ٤٥٣ م .

واقعة تروى أو شالون ٤٥١ م.

نهب الفندال روما ٤٥٥ م .

نجت روما بذلك من شره ولكن دهمها الفندال فى عام ٤٥٥ م واستولوا عليها ونهبوها نهباً تاماً .

انتهاء الدولة الرومانية الغربية ٤٧٦ م.

ضعف القياصرة فى روما عن دفع هذه الكوارث المتوالية ، واستبد بالأمر دونهم قواد الجند وكلهم من أصل متبربر . وفى عام ٤٧٦ م أعلن ادوكر صاحب

ادوكر

لا مر اذ ذاك انتهاء الدولة فى الغرب والاكتفاء بالامبراطور الحاكم فى القسطنطينية

بقيت الدولة الرومانية الشرقية حتى عام ١٤٥٣ م لما استولى محمد الفاتح على القسطنطينية وحاولت مراراً أن تحكم الاجزاء الغربية مثل ايطاليا واسبانيا ولمغربية ولكن لم يكن نجاحها فى كل تلك المحاولات الا مؤقتاً . وكان الأمر فى غربى أوربا للممالك الجديدة

ايطاليا بعد ٤٧٦ م

تنازع على ايطاليا بعد عام ٤٧٦ م المتبربرون والقياصرة الشرقيون لاهميتها الجغرافية ولوجود روما بها

القوط الشرقيون فى ايطاليا

انتصر المتبربرون فدخل ايطاليا القوط الشرقيون فى عام ٤٨٩ م تحت قيادة ملكهم ثيودوريك .

ثيودوريك

حكم ثيودوريك ايطاليا ثلاثا وثلاثين سنة ، وكان رجلا مستنيراً عادلا استعان بالرومان فى الحكم وترك للرعية ما ألفته من القوانين وثلثى أرضها . ولكن القوط لم يختلطوا بالايطاليين بل حال بين الشعبين اعتناق القوط مذهب اريوس وكان فى رأى الايطاليين الحاداً

جستنيان

وبعد موت ثيودوريك فى عام ٥٢٦ م نجح القيصر الشرقى جستنيان الذى خلد اسمه بجمع القوانين الرومانية فى استرجاع شمالى افريقية من الفندال واجزاء من اسبانيا من القوط الغربيين وايطاليا من خلفاء ثيودوريك

اللمبارد فى ايطاليا

ولكن حكم القسطنطينية لم يدم طويلا فى عام ٥٦٨ م أغارت على ايطاليا قبائل اللمبارد وتملكت معظم شبه الجزيرة ولكن احتفظت الدولة الرومانية الشرقية ببعض ممتلكاتها فى ايطاليا

مملكة البرجنديين

وفى أثناء ذلك أسست قبائل البرجنديين مملكة فى شرقى فرنسا تمتد من الالب حتى منابع اللوار

انجلترة

جلت الجيوش الرومانية عن بريطانية لما هدد المتبربرون روما وتركت سكانها وشأنهم ؛ فلم يقووا على دفع قبائل الانجليز والسكسون والجوت التى تركت مواطنها الاولى حول مصب نهر الالب وأغارت على بريطانية فى القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد

قامت للمغيرين ممالك متعددة صغيرة منها كنت ووسكس وسسكس ونورثمبريا ومرسيا وايست انجليا ، ووقعت تلك الممالك فى حروب طويلة. وصارت انجلترة بذلك الانقسام بمعزل عن أوربا حتى أواسط القرن التاسع لما خضع معظمها لحكم واحد .

تقدم كيف أقام القوط الغربيون والبرجنديون ملكا فى جنوبى فرنسا وشرقيها . أما شماليها فقام فيه ملك الفرنجة ، ولهم شأن عظيم فى التاريخ فقد ورثوا ملك المتبربرين الآخرين ونشروا المسيحية وحكمهم فى اواسط أوربا وشماليها أى فى أرض لم تطأها قدم أى فاتح رومانى .

ملك الفرنجة

وكانوا فى أول أمرهم قبائل متحاربة ثم تولى فى عام ٤٨١ م كلوفس زعامة بعض القبائل وأخذ يبسط سلطانه على جميع الفرنجة وعلى البرجنديين والقوط الغربيين ونجح فى ذلك نجاحا عظيما .

كلوفس

ومن أهم حوادث حكمه اعتناقه المسيحية فى عام ٤٩٦ م وكان ذلك بدء صداقة بين الفرنجة والبابوات رؤساء الكنيسة فى الغرب أثرت فى تاريخ العصور الوسطى تأثيراً كبيراً ، اذ ساعد البابوات ملوك الفرنجة بنفوذهم المعنوى ، وساعد ملوك الفرنجة البابوات على اسقاط ملوك اللمبارد وعلى ايجاد ملك فى ايطاليا يحكمه البابوات .

الفرنجة والبابوية

الفصل الحادى عشر

مصر ولاية رومانية

علاقة الرومان بمصر

بدأت علاقات الرومان بمصر أيام البطالسة وقت ان كانت روما تكافح قرطاجنة ، وكانت تلك العلاقات ودية ؛ ثم خرجت روما من الحرب البونية ظافرة وضعف البطالسة فدخلت مصر فى حماية الرومان ، يدفعون عنها أعداءها الآتين من ناحية الشرق ويسيطرون على علاقاتها الخارجية ويتدخلون فيما يقوم بين أفراد أسرة البطالسة من نزاع . كل ذلك عملا بالسياسة التى تقدم وصفها والتى كانت تفضل السيطرة على أمم الشرق على حكمهم .

وقد كان من نتائج ذلك أن ملوك مصر البطالسة لم يكن لهم بد من الاشتباك فى حرب الاحزاب فى روما التى تقدم وصف ادوارها عند الكلام على عصر الثورات . ومن ذلك أنه عند مافر بومبى بعد واقعة فرساليا الى مصر تبعه يوليوس قيصر . فأقام بها مدة مع كليوبطره (من أشهر شهيرات العالم) وانتصر لها وثبت قدمها فى الحكم ، وتنازع مع أحد القواد المصريين واستولى على الاسكندرية عنوة . ويقال إن مكتبة الاسكندرية الشهيرة أحرقت فى أثناء ذلك النزاع . ولكن قيصر لم يغير علاقات الرومان القديمة بمصر بل تركها كما كانت ولم يضم مصر الى ممتلكات الدولة الأخرى

يوليوس قيصر فى مصر

ولما قتل يوليوس قيصر وقام انتونى واكتافيوس للثأر من قتلته اشتبكت مصر أيضاً فى حرب الاحزاب الرومانية وانضمت كليوبطرة الى أعداء انتونى واكتافيوس ؛ وأراد الاول معاقبتها على ذلك ؛ ولكنه أحبها حباً شديداً وأقام

انتونى فى مصر

معها فى مصر فى لهو، وقام النزاع بينه وبين زميله اكتافيوس، وانتصر اكتافيوس فى واقعة اكتيوم البحرية عام ٣١ م، وانتحر انتونى وكليوبطرة. وصارت مصر منذ ذلك التاريخ ولاية رومانية

واقعة اكتيوم

مصر ولاية رومانية

تقدم أن اجسطوس غير من نظام الحكم فى الاقاليم وانه أخرج معظمها من سيطرة السناتو ووضعها تحت حكمه مباشرة. وقد كانت مصر من الولايات من هذا النوع، ليس للسناتو فى أى أمر من أمورها دخل.

مصر فى عهد اجسطوس

ولم يغير الامبراطور من نظام الحكم المتبع فى زمن البطالسة، فجعل على البلاد واليا مقره الاسكندرية، وقسمها الى عدة مديريات يحكم كلا منها مدير. وقد بقيت البلاد على هذا النظام حتى انتهاء الحكم الرومانى

كذلك بدأ الحكم الرومانى فى عام ٣٠ ق م واستمر هذا الحكم الى أن فتح العرب مصر فى عام ٦٤١ م.

كان هذا الحكم حكما عسكريا محضا، حكم دولة غالبة أمة مغلوبة: فلم تكن مصر فى اثنائه مركزا للحضارة الرومانية كما كانت أيام البطالسة مركزا للحضارة الاغريقية. ولم يك حكم ولاة أجانب باسم قياصرة بعيدين مما يمنع زوال الحضارة المصرية القديمة، فلم يكن لمصر أثر فى نمو الحضارة الرومانية ولا هى احتفظت بحضارتها القديمة.

مميزات الحكم الرومانى

اهتم أفاضل القياصرة بحكم البلاد حكما عادلا وبالعناية بتجارتها وغير ذلك من موارد ثروتها. فاعاد تراجان مثلا الخليج بين النيل والبحر الأحمر، واصلح دقلديانوس من مالية البلاد وآثر أهل الاسكندرية على غيرهم فأقاموا عمودا تذكاراً له هو عمود السوارى المعروف. وفى عهد هذا القيصر وأمثاله عنى الرومان بدفع المتبربرين من عرب ونوبة وسكان الصحارى شرقى وادى النيل عن حدود مصر. وأقام بعض القياصرة أيضاً بعض المبانى أو شيد أجزاء جديدة من معابد

عمود السوارى

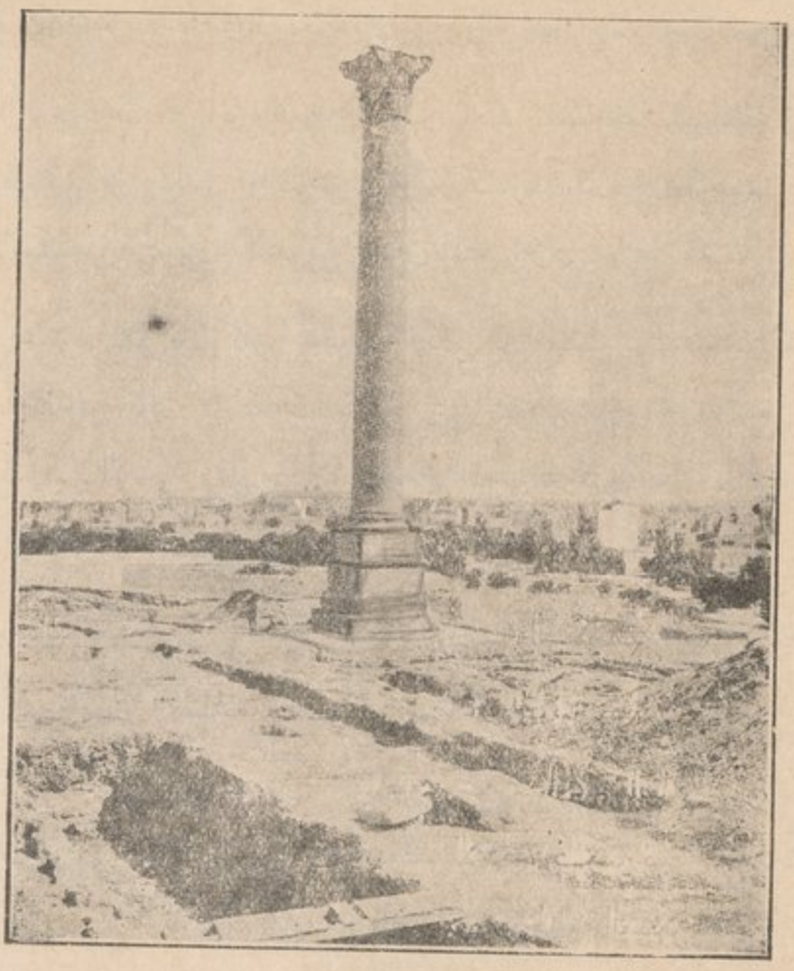

(شكل ٣٨) عمود السوارى

حصن بابليون

قديمة . ومن أشهر عمائر الرومان حصن بابليون وهو بناء قديم يقال انه من صنع الفرس ولا تزال بعض ابراجه قائمة بمصر القديمة .

ولم تكن الأمور دائما على هذا المنوال فقد قاست مصر كثيراً ايام القياصرة الضعاف . فكانت تقوم عندئذ الفتن الكبيرة بين الاجناس المختلفة الساكنة فى مصر وعلى الاخص فى الاسكندرية بين اليهود والاغريق ، أو يحاول عندئذ ذوو الاطماع من القواد الرومان الاستقلال بمصر ، أو يحاول عندئذ المصريون رفع النير عن اعناقهم . وكل ذلك يؤدى الى سفك الدماء والفوضى وفقر البلاد وكان المتبربرون ينتهزون فرص الفوضى للاغارة على حدود البلاد . وبلغ

استيلاء زنوبيا على مصر

الأمر أن تمكنت مملكة صغيرة من الاستيلاء على مصر وحكمها سنتين هذه هى مملكة تدمر الواقعة فى الصحراء بين سوريا والفرات أيام ملكتها المشهورة زنوبيا

انتشار المسيحية فى مصر

أهم ماحدث فى أثناء العهد الرومانى انتشار المسيحية فى مصر ولا يعلم بالضبط متى بدأ ذلك . والظاهر أن أول انتشارها كان بين اليهود المقيمين فى الاسكندرية ثم بين الاغريق ثم بين المصريين .

اعتناق المصريين المسيحية

اعتنق المصريون كلهم المسيحية وكانوا على استعداد لذلك . فالعبادات الوثنية القديمة كانت قد فقدت سلطانها على عقولهم ، ووجدوا فى الدين الجديد عقيدة الحياة الآخرة وهى من أهم عقائدهم القديمة ، وكانوا شعبا مستعبدا له فى تعليم المسيحية الاجتماعى سلوى .

الاختلاف بين المسيحيين الاغريق والمسيحيين المصريين

هناك اختلاف بين الكنيسة الاغريقية والكنيسة المصرية : فتغلب فى الاولى الآراء الفلسفية وحب الجدل ، أما الثانية فتغلب فيها روح الزهد والتأمل . فكثر من المصريين من أنزوى عن مساوىء العالم وشروره وآوى الى الكهوف والصوامع ، وقامت فى مصر الاديرة الكثيرة . والظاهر أن من المصريين من آثر الرهبنة فرارا من الضرائب والخدمة العسكرية

الرهبنة فى مصر

الاضطهاد أيام دقلديانوس

قاومت الحكومة الرومانية انتشار المسيحية حتى أيام قسطنطين كما تقدم ، وأسوأ الاضطهاد ماوقع أيام دقلديانوس فقد قتل بأمره عدد كبير من المسيحيين فى مصر . ويسمى الاقباط عصره بعصر الشهداء وجعلوا أول حكمه (سنة ٢٨٤م) مبدأ لتاريخهم .

انتهاء الحكم الرومانى

ساءت الحالة فى مصر على توالى الزمن : فصارت البلاد فى فقر مدقع لاتقوى على دفع مافرضته الحكومة عليها من الضرائب ، واشتد النزاع بين الطوائف الدينية المختلفة ، واختل الامن فى قراها وعلى حدودها

اغارة الفرس على مصر فى ٦١٧ م.

كره المصريون حكم الرومان ، فلم يسؤهم توغل الفرس فى املاك الدولة الرومانية وفتحهم الاسكندرية سنة ٦١٧م. ولكن لم يدم حكم الفرس طويلا

عودة الرومان ٦٢٨ م.

فقد قام الامبراطور هرقل واجلى الفرس من ممتلكاته وغزا بلادهم ودخل قاعدة ملكهم ، فاضطر الفرس الى الانسحاب من مصر وعاد اليها الرومان . وذلك فى عام ٦٢٨ م .

الفتوح الاسلامية

فتح مصر ٦٤١ م.

لم تفد تلك الحرب لا الفرس ولا الرومان ، بل اضعفتهم جميعا وقت بدء الفتوح الاسلامية العظيمة التى مالبثت ان امتدت الى فارس نفسها وانتزعت من الرومان سوريا وفلسطين ثم مصر فى عام ٦٤١م.

-OCT 198